دير العذراء برموس

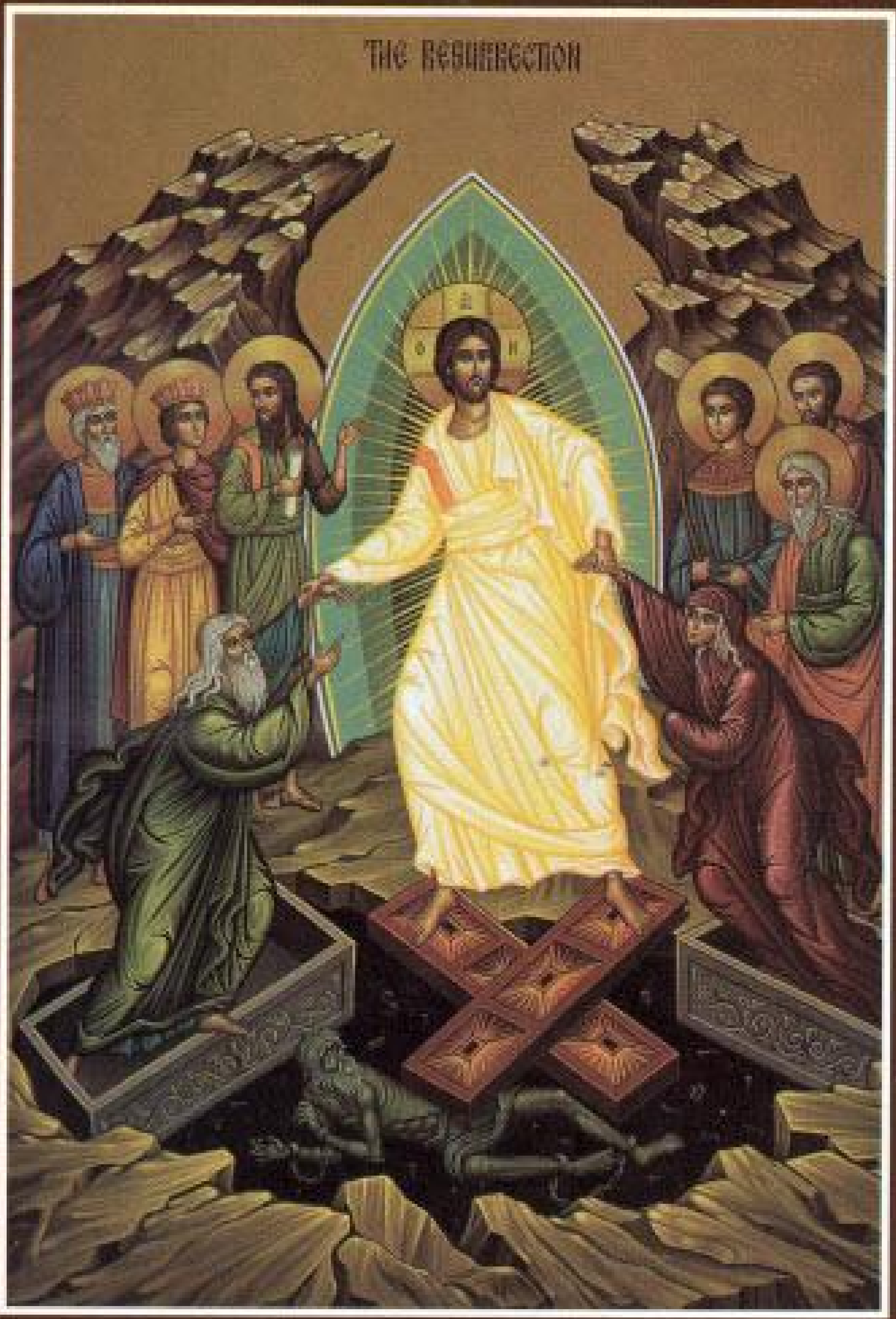

الجزء الأول

موت الموت

شكر واجب

أشكر من عمق قلبي صاحب النيافة الحبر الجليل **الأنبا إيسوذورس** لأنه شملني بمحبته وإتسع ذهنه لكل حواراتي معه في موضوع هذا الكتاب وقد تفضل أيضاً وراجعه . وأشكر نيافة الحبر الجليل **الأنبا موسى** فقد راجع بعض فصوله، وايضا بعض الأباء الرهبان فى الدير ، وأيضا وأحبائي في الرب الأساتذة (د. جوزيف موريس ، د. رسمي عبد الملك ، د. وداد عباس) وأيضاً بعض الشبان والشابات الذين قرأوا هذا الكتاب قبل صدوره وقد كان لملاحظات وتوجيهات الجميع الدور الذي أذكره بكل فخر في صدور هذا الكتاب في هذه الصورة التي أثق أنها ستحوز قبولكم .

الرب يعوض الجميع خيراً عن تعب محبتهم

المؤلف

مقدمـــــة

+ ليس عرضاً ، أن يموت الرب يسوع على الصليب ، وهو خشبتان متعارضتان .

فهل من تلاقٍ ، **بين النور والظلمة** ؟!

وبين القداسة والشر ؟!

وبين الوجود والعدم ؟!

وبين الحياة والموت ؟!

+ بكل المقاييس البشرية ، يستحيل ..

+ على الصليب ، حدث ما هو مستحيل أن يحدث بكل المقاييس البشرية .. إن الصليب معجزة المعجزات ، أو كما قال عنه الرسول بولس هو " **قوة الله** " (١كو ١ : ١٨) ، لذا كان الصليب هو وحده موضوع فخر الرسول " **وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم** " (غل ٦ : ١٤) .

+ علي الصليب :

+ إلتقى الرب يسوع (**النور الحقيقي**) بالظلمة فبددها .

+ إلتقى الرب يسوع (**القدوس**) بالشر فسحقه .

+ إلتقى الرب يسوع (**الوجود**) بالعدم فكشف أنه عديم الجوهر ، وليس له مضمون حقيقى .

+ إلتقى الرب يسوع (**الحيـــاة**) بالموت فابتلعه .

+ (**مـوت الموت = الفداء**) موضـوع هذا الكتاب ، أفـقد الشـيطان سلطانه على الإنسـان " **إذ مـحا الصك الذي عـلينا في الفـرائض**"!! (كو ٢ : ١٤) .. لذا لا يوجد فى المسيحية تعليم يثير سخط الشيطان وحسده ، بالقدر الذى يثيره موضوع الفداء .. إن عقيدة الفداء تعرضت أكثر من غيرها من عقائد لهجمات الشيطان حتى الهجمات التى توجه مباشرة للعقائد الأخرى ، إنما يهدف الشيطان منها – بطريقة خفية – عقيدة الفداء ..

+ فالذى يقبل الفداء كعقيدة ويحيا به ، سيؤمن من غير عناء أو جدل ذهنى بكل العقائد المسيحية ، التى يعسر على الذهن الطبيعى غير الروحى أن يقبلها ، أمثال : لاهوت السيد المسيح ، تجسد الكلمة ، التثليث والتوحيد ، .... إلخ .

+ وأيضـاً الذى يحيـا الفـداء يعـسـر على ذهنه الروحى مـهاجـمـة ، الذين يهاجـمـونه بنفس أسـاليبـهم الفلسـفـيـة أو العدوانية . حقاً ، كيف لمن أمات المسيح الموت فيه وصار حياً به ممتلئاً بحبه ، وشريكاً فى طبيعته ، أن يسلك مـغايراً لسلوك الرب ، وقد قـال بفمـه الإلهى على الصليب " **يا أبتاه إغـفـر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون** " (لو٢٣ : ٣٤) .

+ حقاً إن الحياة بالفداء أقوى من أن تثبت أمامها فلسفات المهاجمين أو عداؤهم ، قطعاً وبكل تأكيد ستخر فلسفاتهم أمامها عارية من البر الإلهى ، مسكينة بجهلها ، شقية بإفترائها ، بائسة بفقرها ....

قصدى من هذا الكتاب

أحبائى فى الرب ، أهديكم هذا الكتاب ليكون لكم بنعمة الرب منهجاً تتدربون فيه على كيفية معايشة نعمة الفداء التى تقيمون فيها بالكنيسة ، فترتقى بكم من مجد إلى مجد حتى إلى تلك الصورة عينها ..

لا أقصد يا أحبائى إطلاقاً من هذا الكتاب ، أن أكرر شرح نظريات قيلت فى الفداء ، فكل النظريات التى قيلت عن الفداء إنما هى إجتهادات عقلية صادقة لمخاطبة عقول الذين لم يأخذوا نعمة الفداء بطريقة تقنع عقولهم وتريحهم ..

إنما أقصد من كتابى هذا ، أن أقدم لكل الذين أخذوا نعمة الفداء خبرة يعيشون فيها الفداء ويختبرون قوته فى حياتهم بالكنيسة. فهو ليس كتاباً عقلياً وإنما هو إختبار حى لا يجد ذهن من يعيشه أى تساؤلات يثيرها للمعرفة أو أى رغبة فى الجَدال لفهم الفداء ، فالإختبار يراه الذهن بأعين القلب ويقبله فى فرح وشكر ويسلم لعمله ، فيجد فيه كل الشبع والحب الذى يتمثل فيه صورة الحبيب ..

ومن ثم يستـأثر بكل فكر فيه إلى طاعة المسيح ، ويستثمر كل طاقـات الحب التى أودعهـا الرب فى قلبـه لكى يعيش فرح اللقـاء الدائم بالحـبيب على الصليب ونعمـة الإتحـاد به .. هذه هى القـداســة التى أرادها لنا الرب والهـدف الأســاسى من كرازتنا للآخرين ..

أحبائى فى الرب قرائى الأعزاء .. أشكر الرب كثيراً على هذه النعمة التى عشتها فى تأليف هذا الكتاب وكتابين آخرين حول هذا الموضوع جارى إعدادهما .. وأود أن أقول لكم أن الذى يعيش نعمة الفداء سوف يشعر أن هذا الكتاب كتابه ومن تأليفه ، لهذا فإن حق طبع الكتاب ونشره مكفول له ..

أرجو لكم من الرب بشفاعات القديسة الطاهرة والدة الإله وكل مــصــاف القــديســين وبصلوات أبى صــاحب الغـبطة والقداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث وشريكه فى الخدمة الرسولية أبى صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا إيسوذورس ، نعمة تعيشون بها الفداء فتتحول كلمات هذا الكتاب فيكم إلى حياة تعلن السيد المسيح إلهنا الحى الذى له كل المجد .

المؤلـــف

الفصل الأول

هروب الأبرار

+ من هو سفير المسيح ، ومتى يكون سفيراً له ؟

+ هل وجدت بيتك ، وأين هو ؟

+ اللقاء القلبى مع الرب يسوع ، ماهى ثماره ؟

+ وهل أدركت هذا اللقاء ، وصار قلبك للرب ؟

+ الذين يعيشون للرب ، كيف يموتون فيه ؟

+ هل رأيت باراً لحظة انتقاله ، وما الذى يمكن أن يحدث لحظة الإنتقال ؟

الفداء جوهر المسيحية ، يصنع منك سفيراً للمسيح وتجد بيتك موضع اللقاء به ، فتشتهى الإنطلاق إلى حيث هو ..

تمهيـــــد

الموت هـو العـدو الذى لا يمكن لأى إنســان أن يفلت منه "لأن أجرة الخطيـة هي موتٌ" (رو ٦ : ٢٣) ولم ولن يُوجـد من لا يخطئ كمـا قـال القديس يوحنـا الحـبيب " إن قلنا إنه ليس لنـا خطية نُضل أنفسنا وليس الحق فينا " (١يو١ : ٨) ..

لقد سـاد الموت على الإنسـان كمـا أشـار إلى ذلك الرسـول بولس فى الرسـالة إلى رومية " من أجل ذلك كـأنما بإنسان واحـد دخلت الخطيـة إلي العالم ، وبالخطيـة الموت ، وهكذا إجتـاز الموت إلي جميع الناس إذ أخطأ الجـميع " (رو ٥ : ١٢) ألـم يكـن هـذا حكم اللــه على آدم بعـدمـا أخطــأ " لأنك تراب وإلي التــراب تعــود " (تك ٣ : ١٩) .

فإذا كان الموت هـو الحكم الذى لم ولن يُفلِت منه أحد من البشـر فـمـا الذى عـمله الرب يسـوع ؟ إنه لـم ينقض حكمـه بل وضـع نفسه تحت الحكم وأطاع حتى الموت موت الصليب .. أى أنه لبس طبيعتنا المائتة لكى نلبسه فهو الحى الذى لا يموت . لقد أخـذ الذى لنا وأعطانا الذى له أى أنه أخذ مـوتنا ليعطينا

حياته ، وهكذا مات موتنا فيه وصار موته حياة لنا ، لهذا يقول الرسول بولس " **لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح** " (فى ١ : ٢١) وبكل فخر يقول "**حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع لكى تُظهر حياة يسوع أيضاً فى جسدنا** " (٢كو ٤ : ١٠) .

المسيح لم يخطئ ولكنه حمل خطية الإنسان .. دخل الموت إلى الإنسان بسبب الخطية أما المسيح فدخل هو إلى الموت ، ولأنه هو الحى الذى لا يموت أبطل عزه وكسر شوكته وحرر الإنسان من سلطانه ، وهكذا تحول الحكم بالموت من على الإنسان إلى الحكم على الموت ذاته ، فبدلاً من أن يكون الحكم على الإنسان « موتاً تموت » أصبح الحكم على الموت « موتاً يموت الموت » .

لهذا كان الموت (الإنتقال من هذا العالم) شهوة الأباء الذين عاشوا الفداء وتنعموا بحرية مجد أولاد الله كقول الرسول بولس " **لي إشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح . ذاك أفضل جداً** " (فى ١ : ٢٣)

عمل الفداء نراه بوضوح فى الذين يموتون فى الرب وبالأخص وقت إحتضارهم ، مثلما رأيناه بوضوح فى إسطفانوس رئيس الشمامسة وقت إحتضاره ، وقد رأى السماء مفتوحة وابن الإنسان قائم عن يمين العظمة **فى الأعالى** ..

لهذا آثرت أيها الأحباء أن أبدأ هذا الكتاب بهذه القصة «موت الأبرار» وقد إستوحيتها مما حدث لإسطفانوس ..

سفير المسيح

توفت جدتى منذ عدة أعوام (هكذا يتحدث وهيب) ... وآثر جدى (يوحنا) أن يعيش وحده فقد كان يعشق الوحدة .. إنه رجل صلاة ..

من يتعامل معه يرى الله فيه ، إنه طاقة حب جبارة وحياته كانت نموذجا يقتدى به لمن يطلبون الكمال ويؤثرون أن يعيشوا للرب ...

قضينا هذه الأيام وكأننا وأهل القرية صرنا واحداً ، تجمعنا الكنيسة فى القداسات والإجتماعات وموائد الأغابى فى القاعة الملحقة بالكنيسة كل يوم أحد بعد القداس ..

حقا إنه مجتمع سماوى ، المحبة تسودهم ، وثمارها واضحة جدا فى حياتهم ، لهم وجدان واحد ، وتتفق مشاعرهم فيما يواجهونه من مواقف ... الرب يسوع حاضر بصفة دائمة فيهم، ونوره يشرق فى حياتهم ليبدد ظلمة هذا العالم الذى وضع فى الشرير ..

قضينا شهرا فى رحاب هذه القرية الهادئة الآمنة ، ثم عدنا إلى القاهرة ، وكأننا فى حلم سعيد سلب عقلنا من كل ما للعالم الى كل ما للملكوت الأبدى من مجد .. ما بلغناه من

أعماق فى المحبة الإلهية فى هذه الأيام الجميلة يفوق كثيرا طاقتها الزمنية المحدودة .. لذا قررنا أن نقضى أجازتنا السنوية فى شهر أغسطس من كل عام فى قريتنا هذه ، وكان هذا أيضا طلباً ملحاً لكل أهل القرية ..

تعودنا بالفعل أن نقضى الأجازة السنوية كل عام فى القرية، ولقد كان طقس القرية لايختلف كثيراً عن طقس المصايف وبالأخص حديقة جدى . إذ أن حدها الموازى للحد الذى يقع على الطريق كان يُطل مباشرة على نهر النيل ولأن جدى كان يعشق الطبيعة ودائما يرى الله فيها ، بنى استراحة جميلة من طابقين ، حدها القبلى يبدأ فى أرض الحديقة ، ويصل حدها البحرى الى عمق ستة أمتار داخل النيل ، أما طولها فكان يبلغ عشرين مترا مقامةً على قواعد خرسانية ترسى قواعدها فى قاع النيل.الطابق الأول جهزه بمقاعد لمئة فرد وأنشأ فى أقصى الغرب منه دورة مياه ومطبخ ، ثم خصص هذا الطابق للأيام الروحية ومؤتمرات الكنيسة. أما الطابق الثانى فكان بلا سقف أى مفتوحا على السماء ، أحاطه بسور من قوائم حديدية يربط بينها شبكة من السلك . يرتفع هذا السور قليلاً عن المتر ، ويكسوه نبات الياسمين ..كما أقام لنفسه قلاية فى أقصى الغرب من هذا الطابق.

الحياة فى هذا المكان كانت تنبض بالحب فى كل شىء وتُعلن جمال الرب الإله .

الأعمـاق الروحيـة

اكتشـفت حنـان زوجتى فى غضـون أيام قليلة شـخصـية جدى العمـلاقـة.. إنه يعشـق الهدوء والإختـلاء بالرب . الصليب حياته وفـخـره ومجده فى كل شئ .. من يتـعـامل معـه يرى هذا بوضوح شديد فى أمور ثلاثة هـى ..

* كـانت هذه الآية التى نطق بهـا الروح القدس علـى لسـان مـعلمنا بولس الـرسـول " **مع المسيح صلبـت فأحيـا لا أنا بل المسيح يحيـا فيّ**" (غـل ٢ : ٢٠) ، **هـى القـاعدة الأسـاسيـة له فى كل جهاده الروحـى والـهدف الذى لايحيد عنه** ..

* كـان يردد من قلبـه فى كل مـايتـعرض لـه من تجـارب أو ضيقات قـول الرسـول يعقوب " **إحسبوه كل فرح يا اخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة** " (يع ١ : ٢) .

* كان يشـارك بالحب المتألمين من أهل قريتـه .. كان يعتـبر ضـيقـاتهـم ضـيقـات له ، فـقـد كـان بـحق ينفق وينـفق .. وعبـثـا بلاجدوى كان أهل القرية يخـفون عنه متـاعبهم ، فبمـجرد نظره الى أى من كـان منهم فى ضـيقـة ، كان يفـاجئـه قـائـلا : **يـا أخى، لماذا تخفى عنى متـاعبك ؟ ألا تعلم أننا جـمـيـعـاً أعضاء فى جسد واحد ، فإن تألم عضو تتـألم له بقيـة الأعضاء ؟!!** .

* استثمرت حنان كل مـالـها من مواهب فنيـة وجـعلت من

الطابق العلوى للإستراحة مكاناً يُشبه إلى حد كبير الجلجثة التى صُلِب فيها رب المجد يسوع . ولقد استخدمت فى ذلك قطعا من فروع الأشجار مع بعض النباتات الصحراوية ، ثم أقامت فى الجهة الشرقية لهذا الطابق صليباً كبيراً من الخشب وكتبت عليه بمادة فسفورية الآية المحببة لجدى " **مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في** " (غل ٢ : ٢٠) ... واذ كان سور الطابق العلوى مكسوا بالياسمين كما ذكرنا ، **فقد جمع هذا المكان بين جفاوة الصليب وأمجاده ..**

كم كان جدى سعيداً بما عملته حنان !!

شكرها ثم علق قائلاً :

لقد أجدت التعبير بهذا الديكور يا إبنتى عن كل مايجيش فى صدرى .. والحقيقة يا ابنتى أن كل هذا يساعد الإنسان عند بدء الدخول إلى أعماق نفسه ، وعندما ينجح بالفعل فى هذا بمساندة النعمة واشتياقها إليه ، يلتقى بالرب يسوع فيتجاوز بأحاسيسه الروحية كل هذه التعبيرات المادية ويدخل إلى ماتحمله من حقائق ، يستحيل على أى إنسان مهما كان له من إبداع أن يُعبر عنها .. !!

النبـوة

تعودنا قضاء الأجازة السنوية فى قريتنا هذه ، كنا نذوق طعم الأبدية فى حياة الشركة مع أهل القرية وقد أرسى جدى

مبادئها الإنجيلية عملياً ، فلم يستأثر بشئ مما كان يمتلكه لنفسه، وفى حب عجيب عود كل أهل القرية على أن كل مايمتلكه ملك لهم جميعاً ..

رأينا فيهم الروح الواحد والقلب الواحد ، فأدركنا فيهم سر المسيحية وقوة الصليب ..

كنا نقضى هذا الشهر فى نهضة روحية شاملة ، خاصة وأنه كان يتخلل هذا الشهر صوم السيدة العذراء . كنت أجتهد وهكذا حنان أيضا أن نفتقد كل اهل القرية ، وكنت أركز فى خدمتى بالأكثر على الشبان والشابات . والشئ المفرح حقا أن جدى كان يشجع أهل القرية على تعليم أولادهم وكان بالقرية عدد لابأس به من الجامعيين ... لقد كان من أقوى الخدمات وأعمقها تأثيرًا درس الكتاب المقدس ، والشىء الجدير بالذكر أن الكتاب المقدس يبلغ ذروة تأثيره فى النفس البشرية التى تعيش الكنيسة فى القداسات وكل الخدمات الكنسية ، كنا نتفق فى كل أجازة على دراسة سفر معين فى الأجازة المقبلة ، وكان الجميع يجتهدون فى التحضير لهذه الدراسة .. ولقد كان للسهرات الروحية والقداسات الدور الأكبر فى أن تكون هذه الدراسات روحية وبناءة .. فقد صنعت من كثير من الشباب خداماً للكنيسة ..

والشئ العجيب ، عند إنتهاء الأجازة الصيفية فى السنة العاشرة من زواجنا ، وبينما كان جدى يودعنا قال .. **سيضع**

الرب فى السنة المقبلة نهاية لترددكم من القاهرة إلى هنا ، أى سيرتب كل شئ لكى تقيموا هنا مدى الحياة ..

وجد بيته

حضرنا كالمعتاد(أنا وزوجتى وأولادى جون وشيرى وبيتر) لقضاء الأجازة الصيفية فى شهر أغسطس من السنة الحادية عشر لزواجنا .. وبعد انتهاء النهضة الروحية التى تعودت الكنيسة إقامتها فى صوم السيدة العذراء القديسة مريم بيوم واحد ، مكث جدى مايقرب من ساعتين فى الحديقة مع أولادى يرنم معهم تارة وتارة أخرى يُلاعبهم وكأنه الطفل الرابع بينهم ..

دخل الى المنزل وبرفقته أولادى فى الساعة السادسة والنصف مساءً .. ثم جلس وسطهم على أريكة بالصالة .. حمل شيرى على رجليه وطوق چون و بيتر بذراعيه بينما كان يكمل لهم القصة التى بدأها معهم وهم فى طريقهم للمنزل ..

تناولنا جميعا وجبة العشاء ، ثم أحضر جدى لكل منهم قطعة شيكولاته وقبلهم قائلاً : اذهبوا الى نادى الكنيسة ، وأرجو ياچون عند عودتكم أن تدخلوا الى حجرتكم الخاصة لكى تناموا ... بابا وماما سيكونان معى فى االاستراحة وغالباً سنمكث معاً الى وقت متأخر ..

خرج الأولاد الى النادى .. ونحن ذهبنا إلى الإستراحة ، وفى طريقنا اليها عرج جدى على الكنيسة حيث سجد أمام الباب وقبل أعتابها ، ثم استأنف السير معنا حيث جلجثته .. كانت هذه أول مرة يدعونا فيها جدى إلى جلجثته فى هذا الوقت بالذات الذى كان يفضل دائما أن يكون فيه منفرداً ، لهذا خفق قلبى إذ تملكنى إحساس بأن شيئا ما سيحدث وإن كنت لم أتوقع ما حدث بالفعل ولحسن الحظ أخذت معى الريكوردر (المسجل) ..

اسمحوا لى أيها الأحباء أن أنقل لكم فيمايلى ماحدث فى هذا اللقاء العجيب ، وكلى ثقة أنكم ستشاركوننى أمنيتى فى نهاية هذا الحديث ..

بمجرد أن وصلنا ، أشار جدى علينا أن نصلى معه ، وما أن فرغنا من الصلاة حتى جلس تحت الصليب ، وأشار علينا أن نجلس فى مواجهته ..

كانت الليلة بدرا ، لهذا كان المنظر وقت الغروب أخاذا، الشمس تتحرك بسرعة وكأنها تُسرع الى مأواها لتستريح ويستريح الكون كله معها .. القمر يبدأ فى الظهور ولكنه يتحرك مقابلها فى تثاقل شديد .. الطيور تسرع فى حركتها نحو أعشاشها فوق الشجر وكم كان صوت زقزقة الصغار منها جميل وهى تستقبل أمهاتها التى تحمل لها الطعام ... اختفت الشمس تماما فى خلال نصف ساعة ، ولمع ضوء

القمر وصمت الكون كله من حولنا .. لقد آوت صغار الطيور تحت أجنحة أمهاتها ، لكى تستمد لأجسادها الدفء اللازم والحنان الذى يشبعها ، فتستسلم للنوم فى جرأة واطمئنان ، وكأن الكون كله قد هدأ وسكن خصيصا لراحتها ...

حينئذ قال جدى ، هلم نرنم معاً ..

زى العصفور ما وجد بيته زى اليمامة الفرحانة
بيتك يارب أنا حبيته بيتك حبيته بأمانة
بيتك صلاة وتهليل وشموع بيتك مجد ونور وسلام
زى ما حبيت بيتك يا يسوع حبيتك إنت مدى الأيام

فى ختام هذه الترنيمة نظر إلينا جدى قائلاً :

هيا يا أولادى ، ليدخل كل منا بيت الرب ، فيستتر من هول الليل تحت جناحى محبته . إننى لم أفهم قصد جدى ببيت الرب الا بعد أن استمعت إليه وعشت فى كلماته ماكان يعيشه .. لقد أدخلتنى كلماته إلى **بيت الرب ، أى إلى قلبى مسكن روحه القدوس ، حيث التقيت به ، لقاء الحب والمصالحة والتجديد ..**

اللقـاء القلبـى

يقـول وهيب : إننـى أسطر لكم مـاحـدث فى هذا اللقـاء ، وكلى ثقة أن من يقرأها سـيدخل إلـى أعمـاق نفسـه حيث يلتقى بالحبيب .

رأيت جـدى أيهـا الأحـبـاء وقـد أغـمض عـينيـه وكـأنه قـد أختطف من عـالمنا هذا إلى عـالم آخر ، لم يعد له أى حس بكل مـاحوله من عـالمنا ... يتـحدث ثـم يصـمت ... يصـمت ليـتـحدث بقلبـه .. ويتـحـدث ليـعلن دون أن يدرى ثمـرة هـذا الحـديـث القلبـى .. حديثه وصمته يُعلنان بوضوح حضور الرب .. تنطلق الدموع من عينيه ، وهـى تتألق كالجواهر على خديه بما ينعكس عليها من ضـوء القمـر .. لايستطيع من يتأمل فى مـلامح وجهه أن يحكم إن كـانت هذه الدمـوع تعـبـيـراً عن فـرح أو حـزنٍ .. تملكنـى شـعـور بالمخـافـة بينمـا كـان قلبى يخـفق فرًحـا بمجـد الحلول الإلـهى كمـا تعبر عنه كلمـات جدى ... واليكم فيمـا يلى هذه الكلمات ، وهـى مزيج من المناجاة والصـلاة ..

١ - لـه حياتـى

- أراه ، إنه أمـامـى فى كل حين ، هـاهو على الصليب .
- إنه يحمل خطاياى ودنس قلبى .
- لقـد دخل إلـى مـوتى وهو الذى لايمـوت، فـأباد مـوتى بموته.

- أباد موتى بموته .

- أراك يا إلهى على الصليب .. أنت فى أعماقى تجسد بموتك الحب العجيب .

- حرارة حبك تذيب برودة قلبى ، وقوته تسلب ذهنى فتأسره لحبك .

- حبك ، يأخذ ذهنى ، ويرتفع به إلى حيث صليبك .. هناك تسمره النعمة ، لكى يموت عن كل مافيه من هذا العالم ، ليحيا بفكرك .

- أراك على الصليب متوجاً بالشوك . وماهذه الأشواك إلا خطاياى .

*** التاج يشير إلى أنك ملك ، ولكن لم نسمع أن ملكاً فى العالم توج بالشوك .**

*** دمك المتدفق من وخزات الشوك يغسل أعماقى من الأعمال الميتة ، فتطهر وتصير لك .**

*** إلهى ، أنت الملك ، الذى له كل حياتى .**

٢ - معركة خلاصى

- الدماء تنضح وتمتزج بالدموع والعرق .. تشق لها طريقا فوق الجسد المقدس المعلق عارياً فوق الصليب ، تتعرج

فى طريقها وتلتقى ثم تتشابك لتغطى الجسد كله .. من ينظر إليه يرى الجسد المثخن بالجراح وكأنه قد صار كتلة من الدم ...

+ أرى نفسى فيك ، أنا الشقى الخاطئ ، وقد غطانى دمك ، هذا الذى يمتد عمله إلى أعماقى فيغسلها من الأعمال الميتة ... أى غفران هذا !!

– اخترقت الحربة جنبك ، وإذ نفذت إلى قلبك صار قلبك مسكنى بحربة حبك الإلهى ..

– أنا فى قلبك ، يمتلئ قلبى بحبك فيتسع بالحب للجميع وكأنه قد صار قلبك ..

– أنا فى جسدك الآن ، لأنى مولود لامن مشيئة جسدٍ ولا من مشيئة رجلٍ بل منك ولدت ..

– أنت قبلت الموت على الصليب لأجل خلاصى .. موتك على الصليب له فعل دائم وأبدى فينا .. أراك تمسكنى وتجتاز بى معركة خلاصى ..

*** إلهى بقوة الحب الذى أُعلن على صليبك تصارعنى ، وبالمقدار الذى صار لى من هذا الحب أصارع ذاتى ، وكلما كنت جاداً وأميناً فى صراعى هذا كلما زاد لى الحب ، وبمقدار هذا الحب تكون قدرتى على إجتياز الموت ..**

*** أنت تحمل الصليب لأجل خلاصى وأنا أخلص إذا نجحت فى تسليمك ذاتى لتسمرها فى صليبك ..**

٣ - أدركنى حبك

- حقاً عجيب هو موتك يارب ، إنه حدث مرة واحدة ولن يتكرر ، ومع هذا فعله دائم أبدى ..

- أدركتنى حياتك بموتك ، فلن يملك على الموت الثانى طالما قبلت فعل موتك النهار كله .. موتك إعلان لحبك مابعده إعلان ..

- حبك هذا ، تضطرم نيرانه فى أعماقى فتلتهم كل مايعترض طريقى إلى طاعتك ..ما أعجب حبك يا إلهى !!

- أعود بذاكرتى إليك حينما كنت معلقاً على عود الصليب أنصت إليك وأنت تصرخ إلى أبيك قائلا :

" **إلهي إلهي لماذا تركتني** " (مت ٢٧ : ٤٦) .. إنها صرخة قوية ، تعبر بوضوح عن مقدار الحاجز الذى أقامته الخطية ، ليفصل بين الإنسان وبين الله الآب ..

- وأنت يايسوعى ، إلهى ومخلصى ، حطمت هذا الحاجز بموتك فصار جسدك طريقنا للأقداس الأبدية ، وقد أعلنت هذا بوضوح حينما قلت:"**يا أبتاه في يديك أستودع روحي**"(لو٢٣:٤٦) منذ ذلك الوقت صار لنا نحن أبناؤك أن نبقى فى يديك .. فمن يقدر أن يخطفنا من يديك !!

– حبيبى إننا نقتنى قوة القيامة فى الصليب ، هذه التى ترفع أعين قلوبنا إلى فوق حيث أنت جالس عن يمين أبيك .. وهكذا نؤهل ونحن هنا فى الجسد لمذاقة أمجادك ، الميراث الأبدى الذى لك .. هناك يكمل فرحنا !

*** حبك غرس فينا بقبولنا الشركة فى موتك ، وقيامتك هى الطاقة التى تجعل من هذا الحب قوة جبارة نتحرك بها نحوك من مجد إلى مجد حتى نبلغ جمالك ..**

٤ – الانطلاق

إلهى ، إن خطاياى تشعرنى ببعدك أو غيابك عن حياتى .. لهذا أتحدث اليك مع عروس النشيد بضمير الغائب قائلاً:" **ليقبلني بقبلات فمه** " (نش ١ : ٢)

سامحنى ، إن هذه المشاعر ثمرة طبيعية لخطاياى الكثيرة ..

إلهى ، اسمح لى أَن أُعيد صراخى هذا فى دالة البنين قائلاً ..

قبلنى بقبلات فمك .. أريد منك قُبلات لاتنتهى ، أو بمعنى آخر أريد أن أتحد بك .. لتأخذ كل ما لى وتعطينى الذى لك .. لتأخذ مرارة خطاياى فتتحول فى قبلاتك لى إلى حلاوة الخلاص .. مهما عظمت

خطاياى فماهو حجمها أمام حبك الذى لايُحد ! وماهو فعلها أمام عمل نعمتك الذى يعمل فينا بإستحقاق دمك !

إلـــهـــى ، إن قوة صليبك تتجذر فى أعماقى ، تهدم لكى تبنى ، وتقلع لكى تغرس . تنفتح بصيرة قلبى فأراك ، ويستنير ذهنى بنورك فأعاينك ، قلبى يخفق طرباً بحلولك ..

إلـــهـــى ، لم يعد ملكوتك أمرا أسمع عنه .. إننى أراه ليس بعيداً عنى ، إنه فى قلبـــى .. أى مجد هذا ! سامحنى ، إننى عاجـــز عن وصفه .. من يستطيع أن يحتويه بتعبير بشرى ! .. حبك يمتلك قلبى ، نار تتأجج فى أعماقى .. من يحتملها ؟! إنها تذيب ثلج برودتى ، وتلتهم أشواك خطاياى .. تبدد أحزانى وتدخل الفرح أعماقى ، فرح لم أعش مثيله من قبل ..

إلـــهـــى ، حبك يجتذبنى الآن بقوة عظيمة حطمت كل قيودى ..

إننى أركض فى الميدان مسرعاً .. أنت جعالتى وإكليل فخرى .. كيف أركض .. ؟ ولماذا هذه السرعة بينما أنت قريب جدا منى ؟ إنك فى أعماقى .. أمور لاأجد لها تفسيراً .. لى اشتهاء أن أنطلق وأكون معك فذاك أفضل جداً .

إلـــهـــى ، هل صـارت أعـماقـى سـمـاءَك ؟! اطلقنى بسـلام
فقد رأت عيناى خلاصك ..

ويعلق وهيب على هذا قائلاً : ظل جدى يردد ، أطلقنى ، أطلقنى ، أطلقنى ... ثم صمت صمتا طال عن سابقيه .

ذى يموت فى الرب

ثم كُسِرَ هذا الصـمت على رائحـة بخور زكـية جـداً وهو يردد فى صـوت إزداد عذوبة ورقة وحـلاوة لم أتعودهـا فى أحد من بنى البـشـر .. هل هو شـبيه بصـوت الملائكة ؟ لست أعلم ، فلم يسبق لى أن سمعت أحداً من الملائكة ..

أمى العذراء ، حـبيبى أنطونيوس ، رفـيقى مـارجـرجس ، نور حياتى مـارمرقس .. هكذا ظل جدى يردد أسمـاء القديسين والربع الأخـير فى الذكـصـولوجـية الخـاصـة بكل منهم ، من يستـمـع إليه يشـعـر وكـأنه يراهم بل ويتبـادل معـهم الأحـاديث القلبية ويشاركهم فرحهم بالمجد الذى يعيشونه ..

ثم صـمت وأضـاء وجهـه وانفـرجت أسـاريره لتـعكس لنا مايجيش به صدره من فرح لاينطق به ومجيد ..

ثم سمعنا صـوتاً لجمـهور من المرنمين ضـعيفاً عذباً يأتى من بعيد ثم يقوى شيئاً فشيئاً ..

إنهم يقتـربون منـا إلى أن صـار الصـوت قـوياً جدا ، إنهم ...ولنا وصـاروا فى وسطنـا .. حينئذ تعبق الجو كلـه برائحـة

البخور الزكية .. لقد امتلأنا بفرح سلب قلوبنا إلى حيث الحبيب فى السماء ونحن نرنم معهم هذه الترنيمة الجميلة ..

طوبـاك يا سـهـران طوبـاك يا فرحـان
طوباك بدخـول كنعـان طوبـاك يا سـهـران
فـرحـان بالمواعـيـد فـرحـان والفـرح يزيـد
ده صـعـد للعـلاء أرسـل روحـه وعـزاك
طوبـاك يا عطشـان للبـر والغفـران
ده بموته أخـذت حـيـاة والصك بصليبه محاه
نظـرك كان للحبيب متعلـق على الصليب
ده الجنب رواك وفـداك فـرحـان بخلاص مـولاك

ثم بدأوا يصـلون مـعـاً فى صـوت جـمـيل وباللحن الحزاينى « الثلاث تقديسات » بعدها قرأ أحدهم هذا الفصل من انجيل معلمنا[+] يوحنا البشير (١٢ : ٢٠ – ٢٦) ، ورفع أحدهم طلبة جميلة جداً ، ومن كلماتها مايلى :

... فلهـذا نسـأل ونطلب إليك يامـحـب البشـر من أجل عبدك (يوحنا) الشماس ، هذا الذى أتى إليك وصار فى غير

+ هذا الفصل من الإنجيل والطلبة التالية لها مأخوذان من صلاة تجنيز الشماس.

الجسد وغريبا من العالم . اقبل إليك نفسه بطهارة وبر ، وكما كان خادما لمذبحك الأرضى ، فليكن أيضا خادماً لمذبحك السمائى حيث لاعيب فيه ولادنس ، وليكن مرضيا لإرادتك المقدسة الطوباوية . وإن كان أخطأ إليك فى شئ كالبشر فاغفر له وسامحه ، لأنك أنت رحيم ورؤوف وبار ومحسن لكل الذين يعبدونك ، لأنه لاموت لعبيدك بل هو انتقال من الموت إلى الحياة ، ولايتسلط علينا الموت من أجل موت ابنك الحبيب يسوع المسيح ربنا . لأن لك المجد معه ومع الروح القدس المحيى المساوى لك فى الجوهر الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور أمين.

انتهت الطلبة فشعرت وكأن شيئاً ما ، قد اقتلع قلبى من بين ضلوعى ليستقر حيث استقر جدى .. نظرت إليه فتأكدت أنه انتقل من هذه الحياة الدنيا ، ليعيش إلى الأبد حياة الذى فدانا ووهبنا إياها ، أى أدخلنا فيه إلى شركة الثالوث القدوس ، وأعاد لنا بموته وقيامته مجد الصورة التى خُلقنا عليها .....

ختام مفرح

بعد وفاة جدى (يوحنا) .. حضر الأب الأسقف وعدد ليس بقليل من الأباء كهنة الإيبارشية وجميع أهل القرية .. إشترك الجميع فى الصلاة على جدى وأود أن أُشرِككم معى (أيها القراء الأعزاء) كل ما عشته أثناء الصلاة على جدى ..

لم يستطع أحد الحضور أن يحبس دموعه .. كانت الدموع تنساب فى هدوء عجيب لتنطق بما فى القلب من فرح رأيت مثيله على وجه جدى وقت إحتضاره وإنطلاق روحه ، وكأن الجميع فى لقاء قلبى مع جدى فى حضور الرب يسوع الذى يجمع الكل فى جسده (الأحياء والذين إنتقلوا) ..

فالذين يعيشون موت الرب وقيامته وهم فى الجسد يموتون فى الرب يسوع الحى الذى لا يموت .. لهذا فهم أحياء ولا يمكن للموت أن يسود عليهم . من أجل هذا نصلى فى أوشية الراقدين « لا يكن لعبيدك موت بل هو إنتقال » ..

إجتمع الأب الأسقف مع الشعب بعد قداس الأحد التالى لوفاة جدى وإستطلع رأيهم فيمن يكون كاهناً لهم على مذبح كنيسة العذراء التى بناها جدى فى حديقته ، فأجمع الكل على أن يكون ضعفى كاهنهم .. وهكذا تحققت نبوة جدى قبل وفاته ..

الفصل الثانى

عظمة الخدمة

+ الخدمة ، ما هى ؟
+ الدعوة للخدمة نعمة ، فلا يوجد فينا ما يجعلنا نستحق الخدمة !
+ كيف أعرف دعوتى ؟ وكيف أقبلها ذهنيا ؟ وكيف يمتد هذا القبول الذهنى ليصبح قبولا قلبيا لها ؟
+ لكل خادم رسالة ، فمن الذى يحدد له هذه الرسالة ؟ وكيف يعد لها ؟
+ يقول معلمنا بولس الرسول ||ان الرب أفرزه من بطن أمه ودعاه بنعمته || فكيف نطبق هذا فى حياتنا ؟
+ الكاهن ، ما الذى يجب ان يعمله مع النفوس الضالة ؟
+ كيف يحملهم فى أحشائه ، ويتمخض بهم إلى أن يتصور المسيح فيهم . ما هى علاقة عمل الكاهن بالمذبح ؟
+ ما هو عمل الفداء فى كل ما ذكرناه فى هذا الفصل ؟

هذا ما نريدك أيها القارىء العزيز أن تحيا به فى هذا الفصل ||

هناك فى البرية

بعد أن أخبرنى الأب الأسقف برغبة الشعب فى أن أكون كاهناً لهم وإرتياحه لهذه الرغبة وإستعداده لكى يمنحنى هذه النعمة ، ذهبت الى الدير ، ومن حسن الحظ كان القمر بدراً فى اليوم الأول . وبعد ان استأذنت من الأب المسئول عن بيت الخلوة ، جلست فى البريه أرقب منظر الشمس وهى تغرب والقمر فى مقابلها وهو يُشرق ..

أثار هذا المنظر فى ذهنى ، هذه الفكرة الجميلة والتى كانت سندى وقوتى فى الخدمة ، وهى ..

لبس الرب يسوع جسد بشريتنا ، وبعد أن " **صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي** " (عب ١: ٣) ، ونحن جلسنا فيه ، كما يقول معلمنا بولس الرسول " **أجلسنا معه في السماويات** " (أف ٢: ٦) ..

اختفى الرب يسوع بالجسد، عندما صعد الى السماء

وجلس عن يمين الآب وأجلسنا معه .. وهذا يعنى ، أن الرب يسوع بعد أن أتم خلاصنا ، أعطانا النعمة التى نعيش بها السماء ونحن فى الجسد ، وهذا لا يتحقق إلا إذا سكن هو قلوبنا .. فالسماء المقصودة تكون حيث يكون هو ..

وهكذا كما اختفت الشمس وأضاء القمر الكون بنور الشمس المنعكس عليه ، اختفى شمس البر بالجسد عن أعيننا ، ليسكن قلوبنا وينير بنا نحن أقماره للذين يعيشون ظلمة هذا العالم ..

رفعت قلبى الى الرب طالباً منه أن يُنير ذهنى بكلمته ويعطينى نعمة القبول لمشيئته ، فأحسست بالروح القدس الساكن أعماقى ينطق بهذه الآية الجميلة " **ولكن لما سر الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته أن يعلن ابنه في لأبشر به بين الامم للوقت لم أستشر لحماً ودماً** " (غل ١: ١٥، ١٦).

كان ينطق بها فى صوت قوى عال ، وتكرر نطقه بها مرات عديدة ، حتى إنتبه ذهنى لكلماتها وبدأ يرددها مع روح الله . وظل هكذا حتى استقرت كلمات هذه الآيه فى ذهنى . ثم أبرزت كلمات هذه الآية كل ما هو مختزن فى ذهنى من كلمات الوحى المقدس ويتوافق معناها مع المعانى التى أراد روح الله أن يُنير ذهنى بها ، فأعرف قصده منها وأتمسك به ، وأعرف دعوتى وأتعلم ما هى الخدمة ؟ ومن هو الخادم ؟ وما هو دورى فى الخدمة ؟

وفيما يلى سأسجل لكم أيها الأحباء كل ما دار فى ذهنى لتنعموا معى بثمار هذا العمل ..

قبول الدعوة ، سرور للرب

+ « **لما ســـر الله** » ... الوقت الذى تقبل فيه الرسول مشيئة الرب ، ووضع نفسه عن حب وفى إيمان قوى بالرب تحت نير المسئولية قائلا : " **يارب ماذا تريد أن أفعل** " (أع٩ :٦)، هو وقت سرور للرب .. وبالطبع لا يقصد من هذا أن يُحدد سرور الرب بوقت معين ، فالله بطبعه فى سرور دائم ، وإنما هذا يُعبر بالأكثر عن مشاعر الرسول فهى التى تتغير.. **والمقصود بهذا ، أن ذهن الرسول تجدد واصبح ذهناً روحيا ، فاستطاع أن يلمس سرور الرب وينعم به ..**

+ « **لما ســـر الله** » .. دخلت هذه الكلمات أعماقى وصارعت بشريتى حتى صرعت كل ما يُعوق قبولى للدعوة، واستقرت فى أعماقى فى مده لا أعرف كم هو مقدارها . **امتلأ قلبى سروراً عجيباً دهش له ذهنى وقد استسلم تماما لمشاعرى ، هذه التى امتدت إليه فتوقف وكأنها ابتلعته وخرجت به إلى ما يفوق إدراكه ويعجز عن التعبير عنه ..**

+ هل هذا السرور ، هو عربون للفرح الذى لا يُنطَق به ومجيد؟ ! .. لا أعلم ، فالصمت فى مثل هذه الأمور أبلغ تعبير عنها !

+ إن قبول الدعوة الإلهية فى ملامحها الواضحه للعمل فى حقل الخدمة ، إن دل على شىء ، إنما يدل على ذات تقبل الشركة فى آلام الرب للموت كل النهار من أجل الرب .. لقد قيل بروح النبوة فى إشعياء عن الرب يسوع " **أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن** " (اش ٥٣ : ١٠) .. هذا السحق لأجلنا لكى نموت فيه عن العالم بموته الذى صار لنا «براً وقداسة وفداء»(١كو ١:٣٠) ..

+ اذاً قبول الدعوة الإلهية للخدمة هو سرور الرب، لأنه دخول حقيقى الى صليب الرب ليكمل فينا وبنا نقائص شدائده، من أجل جسده الذى هو الكنيسة .. ومن يستحق هذا ؟ !

طاعتى ينبوع سرورى

+ أحبائى أقول لكم : يجب علينا أن نضع نُصَب أعيننا ، أن الرب يسوع قبل الصليب من أجل السرور الموضوع أمامه وكأنه أراد أن يقول لنا ، دخولكم معى فى شركة آلامى لأجلكم، هو طريقكم الوحيد للجلوس معى فى مجدى .. **"ناظرين إلي رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي فجلس في يمين عرش الله "** (عب ١٢: ٢) .

+ السرور الذى لأجله قبل الرب عار الصليب ، هو الذى يبعث السرور فى قلب الخادم ، الذى يبذل ذاته بذبائح البر لأجل خراف المسيح .. هذا الذى عبر عنه الرسول بولس قائلا "**فبكل سرور أُنفِقُ وأُنفَقُ**" (٢كو١٢ : ١٥)

يعيش هذا السرور من يرى خلاصه فى خلاص الآخرين مثلما قال الرسول بولس لأولاده " **يا سروري وإكليلي** " (فى٤: ١) .

+ أحبائى فى الرب .. أود أن أقول لكم : أمام هذا السرور الذى ملأ قلبى ، وجدت طريقى الى الرب فى الطاعة قائلاً مع داود: " **أن أفعل مشيئتك يا إلهي سُررت** " (مز ٤٠ : ٨)

إلهى ، سأجتهد فى أن أقطع عن نفسى كل ما تجمح به إرادتى بعيداً عن إرادتك ، لكى يتجدد ذهنى ويستقر الحق فى باطنى فأقتنى الحكمة فى قبول إرادتك ، وأقول مع داود النبى " ها قد سررت بالحق في الباطن ففي السريرة تعرفني حكمة " (مز ٥١ : ٦) .

إلهى ، املأنى من سرورك بقبولى لدعوتك ، فهذا عزائى وسندى كلما انسحقت عظامى فى خدمتك " اسمعني سروراً وفرحاً . فتبتهج عظام سحقتها " (مز ٥١ : ٨) .

أوقفنى لخدمته

الذى أفرزنى من بطن أمى .. فماذا يعنى بكلمة أفرزنى ؟

أفـرزنى تعنى خـصـصنى وأوقـفنى للـخـدمـة فى كـرمـه المقدس .

+ هنا ، و تساءلت أو قل قفزت إلى ذهنى كل التساؤلات التى واجـهـتـهـا كـثـيـرا من أحـبـائـى وإخوتى الخـدام ، عندمـا تتضـح دعوة الرب لهم فى أمـر مـا ، وبالأخص فى مـثـل دعـوة الـرب لى .. مـا الذى أعطى للرسـول بولس ، الشـعـور بأنه موقوف لخدمة الرب ، منذ ان كان فى بطن أمه ؟

+ هذا الشـعـور هو من أهم مـلامح الدعـوة الإلـهـيـة ، وبه يقـبل الإنسـان دعـوة الرب له !! ولـكن من المهم جـداً ان يتـأكـد الإنسـان من نقـاوة هذا الشـعـور وخلوه تمامـاً من أى عـوامل نفسية أو جسدية تعمل للعالم ..

+ أحـبـائى فى الرب ، أدعـو كل واحـد منكم للدخـول إلى أعمـاقه حيث يلتقى بروح الله ، الذى يكشف له الخفيات وينقيه ويسـاعده فى اتخاذ القرار الذى يتفق مع مشيئة الله ...

+ وسـأعـرض لكم رحلتى المحـبـبـة برفـقـة روح الله الى أعماقى ذاكراً كل ما حدث معى ، لعلها تكون نموذجاً يرشدكم فى الدخول الى أعماقكم ..

١ - هناك فى الأعماق

هدوء البرية وصلوات أبائى فتحا لى الطريق للدخول الى أعماقى . وهناك فى الأعماق تلامست مع روح الله وهو يعمل ليكشف أمام أعين قلبى الخفيات ويذكرنى بكل ما اختزنته الذاكرة من حياة الرسول بولس كمقياس دقيق أحكم به على مشاعرى ، واجد فيه تفسيراً لكلمات الرسول « أفرزنى من بطن أمى » .

+ حينئذ استعرضت الذاكرة حياة الرسول قبل لقائه بالرب يسوع وبعده ، فوجدت أن هذا التخصيص الذى كان له من الرب وهو فى بطن أمه ، صار كجمرة نار توارت تحت أكوام كثيرة ، بسبب نشأته فى مجتمع يهودى عنصرى متعصب يعيش ببره الذاتى ويتعالى على الشعوب المحيطة ..

+ هذه الأكوام صنعتها الفريسية (حيث تتلمذ على يد غمالائيل معلم الناموس) ، وكان يمكن أن تنطفىء تماما جمرة التخصيص هذه فى حياة الرسول بولس لولا افتقاد الرب له .. لقد كان فريسيا مدققاً ، حفظ الشريعة ، وعاش ببره ففقد فى حياته بر الله . وباسم الشريعة ولأجلها ، حارب المسيحية وحرض على التخلص منها ، فكان حارساً لثياب الذين قتلوا اسطفانوس . ويقول الرسول بولس مؤكدا موقفه هذا " **انى كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط واتلفها** " (غل ١: ١٣) .

٢ - لقاء الحب

+ التقى الرب يسوع بالرسول بولس (شاول) فى طريقه إلى دمشق ، حيث كان موفداً من قبل رؤساء الكهنة ، للقبض على المسيحيين وحبسهم .. فقال له : صعب عليك أن ترفس مناخس ، فأحس الرسول بولس أنه أمام قوة جبارة ستسحقه لو تمادى فيما هو فيه..ولكن لماذا يحدث هذا؟! بينما هو يحافظ على مقدساتهم ، ويصون تراث أمته الذى صنعه الرب بهم فى مسيرة حياتهم على الأرض .. إنها غيرة يجب أن تُمتدح ! .. هذه نظرة كل يهودى مغلق لم يدرك الحق بعد ، وقد أعلنه الرسول بولس فيما بعد واصفاً حاله قائلاً (إنها غيرة ليست حسب المعرفة) .

+ هذه ثمرة طبيعية للحواجز التى أقامتها الأكوام المتتالية للبر الذاتى وفريسية العبادة .. ولأنه قد حدث توافق بين الحب الذى يكمن فى افتقاد الرب يسوع لشاول بهذه الطريقة ، وبين الحب المختبىء فى أعماقه العميقة خلف الحواجز الكثيرة ، صرخ شاول بصوت النفس المريضة حباً .. ماذا تريد يارب أن افعل ؟

+ قبل ان ينطق شاول بهذه الكلمات ، تقوى أنين الحب فى أعماقه ، بموقف إسطفانوس من راجميه ، وإذ رأى مصدر هذا الحب فى الرب يسوع عندما إفتقده ولم يكن يعرف من هو

يسوع ، طرح عليه هذا الســؤال .. من أنت يا سيد ؟

٣ - أنا يســوع

هكذا أجاب الرب شاول قائلا :

أنا يسـوع الذى أنـت تضطهـده . صـعب عليك ان تـرفس مناخس ..

أنا يسـوع ، أنا الحب الذى لبسـه اسطفـانوس وامتـلأ به فأحب اعداءه .

صــعب عليك أن تقــاوم الأنين الصــارخ فى أعــمــاقك بمناخس هذا الحب . فـارتعد شـاول وتحير جداً ، إذ وجد فى هذه الكلمـات تشـخـيصـاً دقيـقـاً ومـعـبراً جداً عن كل مـا فى أعماقه فعلاً ، فقال : يارب ماذا تريد أن أفعل ؟

أجابه يسـوع : قم أدخل المدينة فيقال لك مـاذا ينبغى أن تفعل فنهض شاول من على الأرض ، وكان وهو مفتوح العينين لا يبصـر أحداً .. وهكذا كسـرت النعمـة ، تشـامخ شـاول فى هذا اللقـاء وحطمـت صرح كبريائه فخضـع للـرب قائـلاً : ماذا تريـد أن أفعـل ؟

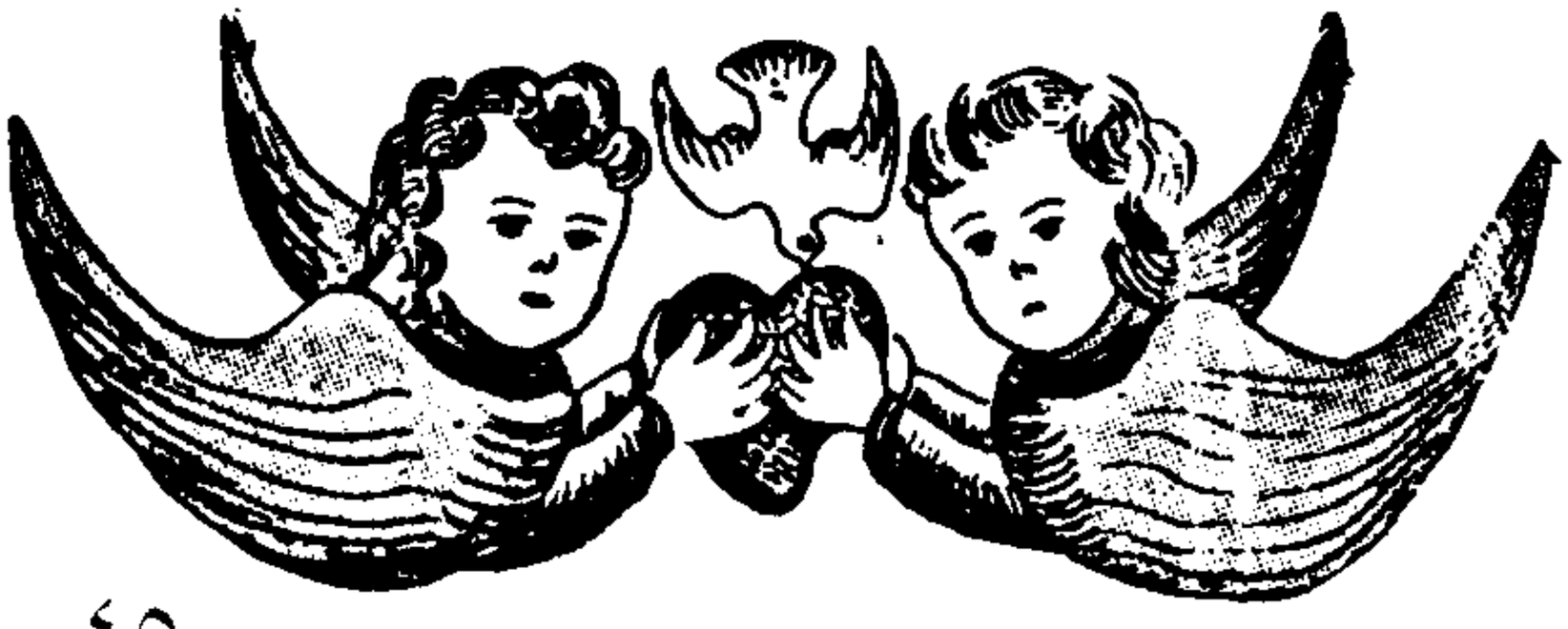

٤ - صراع الحب

ثم نهض ليجد نفسه ، أعمى لا يُبصر أحداً .. لقد أراد الرب من هذا ..

+ أن يصرف ذهن شاول عن العالم الخارجى ، ليدخل الى أعماق نفسه ، حيث يرى ببصيرة قلبه صراع الحب لأجل خلاصه ..

+ بعد أن قبل شاول طاعة الإيمان ، بقى ان ترفع حواجز البر الذاتى والكبرياء الفريسى من أعماقه ، وقد كان العمى الذى أصابه رمزاً لهما . ثم أشار الرب عليه أن يدخل المدينة ، وهناك يقال له ، ماذا ينبغى عليه أن يعمل ؟

+ فلقد وضع الرب فى كنيسته ، القدرة لرفع هذه الحواجز الروحية ، الأمر الذى ظهر واضحا عندما وضع حنانيا يده عليه وصلى لأجله ، فتساقط من عينيه شىء ما يشبه القشور فأبصر وقام فى الحال واعتمد .. فبمشاركة المسيح فى موته و قيامته تجددت طبيعة الإنسان ، أى تحطمت كل الحواجز ، بمعنى إنفتحت بصيرة قلبه .

+ وهكذا اشتعلت جمرة الحب فى أعماق الرسول ، فاتقد غيرة فى خدمة الرب ، ويتضح هذا فى قوله " **من يضعف وأنا لاأضعف من يعثر وأنا لاألتهب** " (٢ كو ١١ : ٢٩) ..

+ لقد التهم الحب الذى استقر فى أعماق الرسول كل ماهو غريب عن الحق ، واستأثر الحب بكل ماله من امكانيات (غيرة ، معرفة بالفلسفة الوثنية ، فريسية مدققة) **للخدمة التى دعاه لها الرب ..**

٥ - هو الذى يبدأ ويكمل

بعد أن استعرض الرب أمام ذهنى ، قصة تحول شاول إلى بولس الرسول ، أرانى الرب أنه هو الذى يبدأ فى الانسان كل عمل صالح ويكمله له إذا قبل عمله وتجاوب معه . ولكى ترسخ هذه الحقيقة فى ذهنى أناره الرب بكلمات الرسول بولس هذه " **واثقاً بهذا عينه أن الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحاً يكمل** الي يوم يسوع المسيح " (فى ١ : ٦) .

هنا واستوقفنى روح الله مرة أخرى ، ليرسم لى صورة ذهنية تشرح لى معنى هذه الآية ، وعلى ضوئها أفهم النقطة التى بدأت بها وهى « كيف أفرز الرب الرسول بولس وأعده للخدمة من بطن أمه » .

واليكم فيمايلى هذه الصورة الذهنية ..

تشبه حياة الرسول بولس إلى حد كبير هذا الرسم الموضح أمامكم ..

١ - الدائرة الكبرى والمفتوحة تشير الى الحب الإلهى

الذى لايُحد ، وحياة الرسول بولس يعبر عنها بسلسلة من عدة حلقات متصلة يبدأها الحب الإلهى وتنتهى إليه .

٢ – كل حلقة فى السلسلة تمثل مرحلة مر بها الرسول ، وتؤهله للمرحلة التى تليها .

٣ – وكل الحلقات التى تمثل حياة الرسول فى الفترة منذ أن كان فى بطن أمه وحتى قبل الدعوة ، كان لها دور كبير فى قبول الرسول للدعوة ، والحلقات فى مجموعها توضح أن الرب هو العامل فى الخدمة .

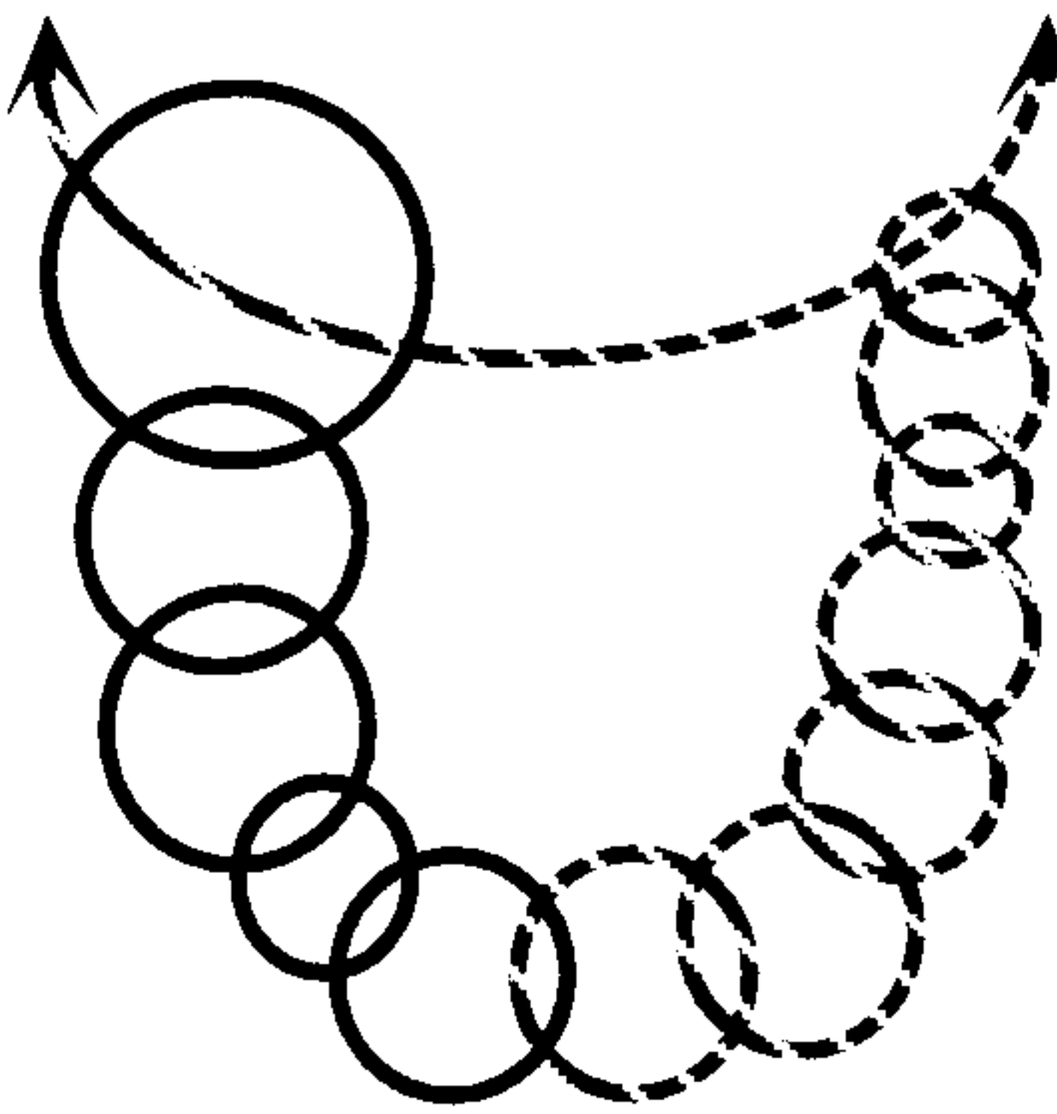

٤ – كل حلقة تعبر عنها دائرة فى الرسم ، فالدائرة تشير إلى محبة الله التى لابداية لها ولانهاية وهى تحصر الرسول منذ أن كان فى بطن أمه ، وحتى كمل له كل شئ وانتهى إلى الله ...

٥ – الدوائر الأولى ترسم منقطة ، والتى تلى لقاءه بالرب ترسم متصلة ، لأن الرسول بدأ يدرك أن محبة الرب تحصره بعد أن التقى به واستنار بحبه .

إعداد إلهى ومواجهة ناجحة

بعد أن أوضح الرب لى عمله فى حياة الرسول بولس

بهذه الصورة الذهنية . اجتهدت فى خضوع لروح الله من خلال تذكرى لتعاليمه ، و تتبعى لعمله الكرازى بين الأمم ، أن أدرك فيهما ، كيف أن الله أفرزه من بطن أمه ودعاه بنعمته للخدمة الرسولية ..

إن أقوى دليل يبرهن على هذا هو أن الرسول بولس ، واجه بنجاح ساحق فى كرازته تيارين ناصباه العداء وحارباه بشدة وضراوة، وهما ...

١ – فكر وعقائد الوثنيين الذين كرز بينهم ..

٢ – فكر المسيحيين الذين كانوا من أصل يهودى ، والذين كانوا يشككون فى رسوليته ويدعون للتهود.

وقد تعرض فى هذه المواجهة لضيقات كثيرة ، فنفى وجلد ووضع فى السجن أكثر من مرة ، وتعرض لمكائد كثيرة من اليهود ومات شهيداً ، وقد أشار الى ضراوة الحرب التى يخوضها عندما قال "**حاربت وحوشاً في أفسس**" (١كو ١٥ : ٣٢) والجدير بالذكر أنه كان يحمل المواطنة الرومانية مثلما كان فريسياً مدققاً تعلم على يد غمالائيل ..

وفيما يلى سأذكر لكم بإختصار ، كيف واجه الرسول هذين التيارين بنجاح يؤكد ، أن الرب أهله بكل الظروف التى أحاطت به لهذا العمل العظيم .

أولاً : التيار الوثنى

بالنسبة لهذا التيار ، كان يغلب عليه الإيمان الإغريقى للفلاسفة ، الذين كانوا يؤلهون ذواتهم بما لهم من معرفة حجزت بينهم وبين الله . فعاشوا فى جهل به ، ولم يدركوا الطريق إلى خلاصهم ، وأغلقوا على أنفسهم فى دائرة جهلهم بالرغم من أن الله لم يكف عن العمل ليفتح أمامهم الطريق إلى معرفته .. ولقد أشار الرسول إلى هذا بوضوح فى الأصحاح الأول من رسالته إلى رومية ..

+ إن المحور الذى تدور حوله كل مواجهاته للتيار الوثنى هذا ، هو العودة بالانسان إلى الصورة التى خلق عليها ، ففى هذه الصورة تمتد الجسور فى الطريق إلى المعرفة الحقيقية بالرب " **إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم** " (رو ١: ١٩)

+ هذه العودة ، تكمن فى معايشة الصليب والقيامة ، ففيهما يتجدد الانسان وينمو فى المعرفة ، من مجد إلى مجد حسب صورة خالقه ..

ثانياً : تيار التهود

وهو كان يتركز فى اعتزاز اليهود بشريعتهم بما تحويه

+ التهود = التمسك بالفرائض والطقوس والأعياد اليهودية كأمر أساسى وضرورى لقبول الخلاص الذى فى المسيحية .

من فرائض وطقوس وأعياد . كانوا يرون فيها برهم وطريقهم لمعرفة الرب وإذ تمسكوا بها لتزكية برهم الذاتى لم يدركو بر الله بالمسيح يسوع ، وضلوا الطريق إلى معرفة الرب ، وظنوا فى الممارسات الشكلية لشرائعهم طريق خلاصهم .

+ اعتزازهم بقوميتهم وتمسكهم بأرض الموعد حرماهم الهدف منهما ، وهو التطلع للوطن السماوى الذى يتحدون فيه بالرب ، الذى اختارهم لتحقيق رسالته بهم للعالم أجمع ..

+ عاشوا العنصرية البغيضة ولم يدركوا انه فى المسيا المنتظر يجتمع الكل إلى واحد ، فلا فرق بين يهودى وأممى ..

+ إرتبطوا بأرض الموعد ولم يدركوا أنه فى المسيح يسوع سوف يتجاوزونها إلى السماء الوطن الذى يضم كل الذين يخلصون من غير تفريق فى الجنس أو اللون أو اللغة.

+ لقد واجه الرسول تيار التهود ، بقوة الواعى الفاهم والمختبر لليهودية وللمسيحية أيضاً ، فى محورين أساسين هما ..

١ – عمل النعمة

* كان عمل النعمة ، يغيب تماماً عن الذهن اليهودى . لهذا توقف اليهود فى عبادتهم عند حد الممارسات الشكلية ،

وصار فخرهم بها هو الحاجز بينهم وبين الرب الذى أوصى بها.

* لم يُحارب الرسول هذه الممارسات ، وإنما كان يقود تابعيه إلى مغزاها ، ويُحثهم لقبول عمل النعمة فيهم ليتجاوزوا الشكليات فى هذه الممارسات إلى ما تتضمنه من جوهر يوطد علاقتهم بالرب ، ويدفعهم للحركة المستمرة نحوه للتمثل به .

وفيما يلى سنذكر كيف واجه الرسول هذا الأمر :

١- لم يرفض الناموس بل رفض البر الذاتى الذى ينشأ بأعمال الناموس ، قائلا " **الناموس مؤدبنا إلي المسيح** " .. (غل ٣ : ٢٤).

٢- وأوضح فى رسائله هذه الحقيقة .. ان لم نر المسيح فى طاعتنا للناموس ونتحد به فنحيا .. فما هو نفع الناموس ؟! طاعة الناموس وسيلة نستعيد بها أمجاد الصورة التى خُلقنا عليها ، فنلتقى بالرب ونحبه ونمجده . فالوصيه روحية لأنها تثمر فينا بطاعتها ثمار الروح القدس التى أشار الرسول إليها فى (غل ٥ : ٢٢) .

٣- لم يلغ الرسول الختان ، وإنما طالب بالختان الروحى للقلب ، وأوضح أيضاً أنه إن لم يكن الختان الذى فى الجسد علامة العهد إشارة لختان القلب بالروح ، أى وسيلة لارتباط قلبى بالرب فما هو نفعه ؟

٤- لم يلـغ الرسـول الأعـيـاد وانما أظهـر لتـابـعيـه الـهدف منها ، وعلمهم كيف يحققونه ليدركوا خلاصهم ..

٥- ولقـد حـول فكر المؤمنين من تقـديم الذبائـح ، التى لا تزيد فى فعلها عن طهارة الجسد من الخارج فقط ، وليس لها أكثر من أن تقترب بهم إلى الأقداس الأرضيـة ومن الخـارج فقـط ، إلى الذبيحـة التى تطهر ليس فقط الجسد من الخـارج ، وإنما الضمائر من الأعمال الميتة ، وتدخل بهم ليس إلى أقداس أرضية وإنما للأقداس الأبدية .. وهكذا إلى آخره ..

٢ - وساطة المسيح

فيما يلى نذكر أفكارهم وكيف واجهها الرسول :

* كـانوا يفـخـرون بقـوميـتـهم ، وانهم أولاد إبراهيم وورثة شرعيون للمواعيد ، حتى وإن جنحوا فى سلوكـهـم عن أعمـال إبراهيـم ..

* كـانوا يفـخـرون بأنهم ورثة للإيمـان بيـهـوه ، دون أن يعيشوا بهذا الإيمان فيثمر فيهم محبة للرب وللناس ..

* كانوا يعتـزون بوسطاء العـهد (مـوسـى ، الملائكة ، ... الخ) مما زاد عنصـريتـهم ، فلم يقبلوا المسيح كـوسـيط لعـهد أفضل .

+ ولقـد واجـه الرسـول بولس هذه الأفكار فى رسـائله

وبالأخص فى الرسالة إلى العبرانيين كما يلى :

أ – الأهم من انهم اولاد لإبراهيم ، ان يعملوا اعمال إبراهيم، وكل ما اعطى لهم من وعود فى ابراهيم انما يرمز لما سيأخذوه فى المسيح يسوع .

ب – الأهم من إيمانهم بيهوه ، ان يكون إيمانهم هذا عاملا بالمحبة ، الأمر الذى لا يتحقق لهم الا فى المسيح يسوع .

ج – الرب يسوع أعظم من كل الوسطاء بما لا يقارن ، فهو الله الذى به يدخلون الى اورشليم السماوية حيث ينعمون بالإتحاد به .

ودعانى بنعمته ليعلن إبنه فى

+ مكثت عدة ساعات وأنا استعرض فى ذهنى حياة الرسول بولس كمقياس لى أواجه به نفسى ، واستشعر عمل الله فى حياتى فأدرك دعوتى لهذه الخدمة العظيمة .

+ توقفت بذهنى كثيراً عند هذه الكلمات « ودعانى بنعمته أن يعلن ابنه فى .. » حتى يستنير بفعلها ، وينطلق من عقاله الجسدى إلى ما تتضمنه من أبعاد روحية لا تحد .. وهيهات أن يدرك أحد ما يمكن أن تنتهى اليه !!

+ واليكم فيما يلى أهم ما تنطوى عليه هذه الكلمات :

قبل أن أتحدث عن الدعوة .. أرى أنه من المهم جداً أن ابدأ الحديث عن موضوع الدعوة وهو الخدمة ، والتى أشار إليها الرسول بولس فى هذه العبارة البسيطة « ليعلن ابنه فى لأبشر به بين الأمم».

+ **فالخدمة اذاً ، هى الله الآب يعلن ابنه فى الخادم ليبشر به** .. والجميل فى هذه العبارة ، أنها تتضمن بعدى الخدمة اللذين يرتقيان بها إلى مستوى العمل الإلهى ، ويصير الإنسان فيها ليس أكثر من إناء خزفى ، على حد تعبير الرسول بولس وهو يصف نفسه كخادم ..

+ هذه العبارة تتفق تماماً مع قول الرب يسوع فى العظة على الجبل .. " أنتم نور العالم. لا يمكن أن تُخفى مدينة موضوعة علي جبل . ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال بل علي المنارة فيضيء لجميع الذين في البيت . فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات " (مت ٥: ١٤ – ١٦)

+ والآن هلم معى ، نتأمل ما هى الخدمة ببعديها اللذين أشرنا إليهما ، بالربط بين قول الرسول بولس وقول الرب يسوع ..

البعد الأول :

ليعلن ابنه فى ...

+ يقول الرب يسوع فى الإنجيل " **ليس أحد يعرف الابن إلا الآب . ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن ان يعلن له** " (مت ١١: ٢٧) ، (لو ١٠ : ٢٢)

+ الإبن هو صورة الآب ، كما يقول الرسول عنه " **هو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته** " .. (عب ١ : ٣) والإنسان خُلِق على مثال صورة الإبن .. الإبن يعرف الآب لأنه صورته ومن نفس جوهره ، والإنسان لا يعرف الابن إلا إذا تمثل صورة الابن فى حياته ، وتظل دائماً معرفة الإنسان بالابن مرتبطه بمقدار تمثل هذه الصورة ..

+ يقول الرب يسوع " **أنا في الآب والآب في** " (يو١٤ : ١٠) فهما جوهر واحد . وأيضا " **الذي رآني فقد رأي الآب** " (يو ١٤ : ٩) فرؤيتنا للآب مرتبطة بإرادة الابن ، فهو وحده الذى يعرف الآب ومن أراد أن يُعلِن له . فى الابن ، إكتمل إعلان أبوة الآب لنا جميعاً ، وإكتمل هذا الإعلان للأسباب الآتية ، أنظر الاعداد الأولى فى الرسالة إلى العبرانيين ..

+ **كلمنا (الآب) فى هذه الأيام الأخيرة** (أى التى أكمل فيها تهيئة البشرية لقبول الكلمة) ، **فى ابنه** (عندما تجسد ليعلن ويتمم كل ما يريده الآب لنا)، **الذى جعله وارثاً**

لكل شيء (الابن له كل ما للآب ، لانه واحد معه فى الجوهر) .

+ الذى وهو بهاء مجده ورسم جوهره .. من يستطيع أن يقترب من مجد الآب ، ويعرفه ثم يتمثله ! **الإبن الذى فى حضن الآب هو خبر** (فهو النور أو البهاء الذى يُعلِن مصدره أى الآب الكائن فيه) ..

+ أخلى الإبن ذاته ليفتدينا من الموت ويعلن لنا محبة الآب ، فهو إذاً بهذا رسم جوهره (جوهر الله محبة) .

+ **وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته** .. حمل الرب يسوع فى جسده كل الأشياء لتستتر فيه ، وتصير تقدمة محبه لله أبيه ..

+ **وعندما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا** .. أزال كل الحواجز التى صنعتها الخطية ، وفتح بجسده المبذول على الصليب ، طريقاً للأقداس الأبدية . لقد غسلنا فيه من كل أدران الخطية ثم جلس فى يمين العظمة فى الأعالى .. إنه جلس بجسده الممجد ، لنجلس نحن فيه أو لكى نستعيد فيه مجد الصورة التى خُلقنا عليها فنتحد به، ونرى فيه الآب ، ونقبل نعمة روحه القدوس ..

+ هذه أكمل وأمجد صورة يعلن الآب بها ابنه فينا . هذا هو العمل الخلاصى الذى به نمتلىء بحياة الرب إلى أقصى ما

يمكن أن تحتمله آنيتنا الضعيفة والتى نغلب بها الموت . هذه الغلبة نعمة تعطى لنا إذا قبلنا الشركة فى موته وقمنا معه فى المعمودية ، وهى تعمل فينا ونحن فى الجسد فلا يملك علينا الموت الثانى ونقوم معه فى مجده .

+ هذا هو النور الإلهى ، الذى يضىء بنا للذين يعيشون فى ظلمة هذا العالم . وهذا ما أوصانا به الرب ، " **فليضيء نوركم هكذا قدام الناس** " (مت ٥ : ١٦) ..

+ لقد أشعل الرب بالصليب سراج حياتنا ، فلا يمكن لقوة أخرى أن تحجب هذا النور عن أن يظهر للآخرين . فالذى أشعل السراج ، هو الذى يضعه فوق المنارة لكى يضىء .. اتحادنا بالرب على الصليب يعنى قبولنا للموت كل النهار . هذا الذى يعطى لآنيتنا اتساعاً اكثر لقبول المزيد من زيت النعمة ، وينظف باستمرار فتائل سرجنا لتستمر فى الإنارة وتزداد ضياءً وبهاءً ..

+ هذه هى الخدمة ، وهذه هى وسيلتها الوحيدة (الله الآب يُعلِن ابنه فينا بالخلاص الذى يُنير سراج حياتنا ، ويضمن لنا التنقية المستمرة ليزداد فينا نور حبه) .

+ يميت الصليب (موت المسيح) الموت فينا ليعلن بنا بهاء المسيح ، ويرسم حبه بموتنا الدائم عن كل ما

للعالم .. كسفراء يدعو الآخرين بنا فى خدمتنا للآخرين وذلك للمصالحة كأنه يعظ بنا ..

البعد الثانى :

دعانى بنعمته ...

+ الدعوة للخدمة نعمة ، تعطى فقط لمن يقبل الخلاص بالصليب ، كفعل دائم وقوى يحرر القوى الطبيعية فينا من خضوعها للخطية .. أى يُميت إنساننا الخارجى عن كل ما يربطه بالعالم أو يجذبه إليه ..

* الأمر الذى يرفعنا فى قوة قيامته إلى حيث هو جالس ، فتصير أعماقنا له وموضعاً لسكناه .. أو قل تنتقل السماء إلينا ونحن هنا على الارض ..

* هل هذه الحالة ، إذا ارتقى الخادم إليها بالنعمة تحتاج مجهوداً منه للإعلان عنها ؟! وهل يمكن أن تعلن عنها امكانياته وقدراته البشرية ؟!

* قطعاً انها أكبر من أن يعلنها أى مجهود بشرى يبذل ، وأوسع من أن تحدها الامكانيات البشرية .. انها تعلن فيمن يبذل ذاته إلى حد الموت ..

* هل يبحث الإنسان فى هذه الحالة ، عن علامات توضح له دعوة الرب ؟!

*** هذه الحالة أوضح علامة ، لا يحتاج الخادم فيها لأى علامات أخرى توضح له دعوة الرب ، إذ يشعر الخادم فيها بأن فكر المسيح ، قد امتلك ذهنه وأسر قلبه** " أما نحن فلنا فكر المسيح"(١كو ١٦:٢) "أطلب اليكم انا الأسير في الرب" (أف ٤: ١).**هذا هو الحب الإلهى النار الآكلة الذى لا يقوى عليه شىء، سواء ضعفات فى الخادم أو مقاومات من الخارج..**

+ تحدث إرميا عن حالته بسبب مناداته بكلمة الرب للشعب العنيد صلب الرقبة فقال " صرت للضحك كل النهار كل واحد استهزأ بي ...فقلت لا أذكره ولا أنطق بعد باسمه . فكان في قلبي كنار محرقة محصورة في عظامي فمللت من الإمساك ولم أستطع " (ار ٢٠ : ٧-٩) .

* هل الذى يصل إلى هذا المستوى يحارب بأنه غير مستحق؟ ومن يكون مستحقاً أن يصبح إناء للرب يحمل اسمه ، ويسعى كسفير عنه يتمم عمله ، وينادى بخدمة المصالحة ؟!

* ألا يفقد أهليته لهذا العمل من يشعر أنه أصبح مستحقاً له !! هذا ما أوضحه الرسول فى قوله (أفرزنى .. دعانى بنعمته) .. وهكذا كان يرى الرسول نفسه ، مجرد إناء خزفى ليست له قوه فى ذاته ، أن يمتلىء بمياه النعمة و يحتفظ بها .. إن الفضل فى هذا يرجع إلى قوة الله وليس له .. إن

غيـرته التى ليست حسب المعـرفـة ، لم تفـارق ذهنه . فـفى الرسـالة إلى أهل غـلاطيـه يقـول " **أني كنت أضطهـد كنيسـة الله بإفـــراط** " (غل ١ : ١٣) وفـى الرسـالة الاولى إلى تلمـيـذه تيمـوثاوس يقـول : " **ولكننى رحـمت لأنى فـعلت بجهل فى عـدم** ايمان وتفـاضلت نعـمـة ربنـا جداً مـع الإيمان والمحبـة التي في المسيح يسوع " (١ تى ١ : ١٣، ١٤) .

*** لا توجـد قوة تستطيع أن تفصلنى عن مـحبـة الرب .. قـوتك الـعاملة فى للكرازة والتـبـشـيـر جـعلت قـيـودى تـؤول بالأكـثـر إلـى تقـدم الإنجـيل ، وكلمـتك نارمتـأججة في أعماقى ، وتلتـهم كل برودة الإثـم فى ضـعفـى .. حـقاً فلم تستطع قيـودى أن توقف عـملها . انهـا تجـاوزت أسـوار الـسـجن وإمـتـدت إلى أقـاصـى المسكونـة ، فأحالت حراس السجن الى كارزين بـها..**

استقرار الحـب

+ هنا ولا أستطيع أن أخفى عنكم أيها الأحباء فى الرب ، مـا عشـتـه وتذوقـتـه فـى هذه اللحظات المبـاركـة ، ولو أنه أكبـر بكثير من قدرتى على التعبير ..

+ فـاضت عيناى بدموع كـثـيرة فلم أعـد أرى شـيـئـاً فى العالم المحيط ، فآثرت أن أغمضـهما .. هكذا توقف ذهنى تماماً عن أن يستقبل أى منظر للعالم المحيط .

+ هنا واسمح لى يا عزيزى أن أصف لك ما حدث ..

رأيت وكأن ضوءاً شديداً جداً لا أعرف مصدره ، يسقط فى حزمة مركزة على كل ما يختزنه ذهنى من أحداث مررت بها منذ ان وجدت فى العالم ، وكأنه يعرض فيلماً سينمائياً لكل حياتى ..

+ وانتابنى فرح لم أذق له مثيلاً من قبل ، إذ رأيت اليد المحبة الحانية تمتد فى قوة عجيبة ، لتقلع كل ما يعارض دعوتى هذه ، وتغرس عوضاً عنها قوة الروح القدس لأتمم خدمتى وأكمل سعيى ..

+ وايضاً تهدم كل ما للذات من ابنية صنعتها لكى تتحصن فيها ، وتبنى عوضاً عنها صرح المحبة ، الذى أدركت به معنى قول الرسول بولس " من يضعف وانا لا أضعف . من يعثر وانا لا ألتهب " (٢ كو ١١ : ٢٩)

رأيت هذا الصرح وقد صار قلبى ، ولكنه يكاد لا يرى فى قلب يسوع المتسع فى حبه بلا حدود .

+ رأيت هذا الحب يصارع كل ضعف فى قلبى ، وإذ أفرح بهذا وأقبله يتلاشى على الفور هذا الضعف ويزداد قلبى اتساعاً تتلاشى معه حدوده ، حتى لم يعد له حدود مميزة فى قلب يسوع . لقد صار وكأنه قلب يسوع ..

*** فى هذه المعركة البالغة التأثير ، خلال هذا العرض الشامل لحياتى كلها ، رأيت فى قلبى كل ما يمكن أن أراه من ضعف فى الناس . فالتهبت غيرة على خلاص نفسى ، وجاهدت مع نفسى حتى لا يكون لى إرادة مستقلة عن إرادة الحبيب ..**

*** حينئذ أدركت أن ينبوع الحب إستقر فى قلبى ، ينبع ويفيض إلى حياة أبدية ..**

هل هذا الذى حدث يحتاج أن أعلنه ؟!

وهل لى أنا التراب أن أتحدث عنه ؟!

قبول الدعوة

+ برز فى الحال أمام عينى قلبى ، موضوع الدعوة . فى كلمات الرسول بولس . لأبشر به بين الأمم ، بقوة لا تقاوم وأصبح ضرورة فويل لى إن كنت لا أبشر ..

* خفق قلبى خوفاً وذابت نفسى خجلاً ، وقبل أن يسلبا ذهنى الإستنارة التى سأنطق بها وأخبر كم صنع الرب بى .. اذ بروح الله يُحيى فى ذاكرتى فعل هذه الكلمات الجميلة التى نطق بها على لسان إرميا النبى ..

" فكانت كلمة الرب إلي قائلاً . قبلما صورتك في البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدستك . جعلتك نبياً للشعوب . فقلت آه

ياسيد الرب إني لا أعرف أن أتكلم لأني ولد . فقال الرب لي لا تقل إني ولد لأنك إلي كل من أرسلك إليه تذهب وتتكلم بكل ما آمرك به . لا تخف من وجوههم لأني أنا معك لأنقذك يقول الرب . ومد الرب يده وملس فمي وقال الرب لي ها قد جعلت كلامي في فمك . انظر . قد وكلتك هذا اليوم علي الشعوب وعلي الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبني وتغرس " (إر ١: ٤ -١٠) .

" أنا ساهر علي كلمتي لأجريها .. " (إر ١: ١٢).

" نطق حقويك وقم وكلمهم بكل ما آمرك به " (إر ١ : ١٧).

"هآنذا جاعل كلامي في فمك ناراً وهذا الشعب حطباً فتأكلهم" (إر ٥: ١٤) .

* تشددت وتشجعت ، إذ أدركت أن الخدمة هى عمله فى ، والذى له قدرة أن يشعل سراج حياتى بحبه لا يعجز عن أن يضعه فوق المنارة ليضىء لكل من فى البيت ، هو الذى يفرز الخادم من بطن امه ويدعوه بنعمته للعمل الذى فيه خلاص نفسه .

* شعرت فى هذه اللحظة بقوة تفوق الوصف ، تمتلك كل أعماقى ، وتمنطقنى إلى حيث لا أشاء .

* وانفتحت أذنى قلبى ، لتسمع صوتاً يتسم بالهدوء واللطف ولكنه فى قوة الرعد ، وكان هذا الصوت للأنشودة الجميلة « قوموا يا بنى النور ... » وإن كنت لم أستطع أن أميز

هل أتانى هذا الصوت من الخارج أم من الداخل .. إلا أننى سمعته فى اللحظة التى كان الآباء فى الدير يرددون هذه الكلمات فى التسبحة ..

+ أسرعت إلى الكنيسة لأشترك فى التسبحة .. وبعد أن تناولت من الأسرار المقدسة استرحت بعض الوقت . ثم استأذنت من الأب المسئول عن بيت الخلوة ، أن يسمح لى أن أقضى أغلب وقتى فى كنيسة الحصن .. فكنت اقضى هناك ما لا يقل عن ثمان ساعات يومياً .. مكثت هكذا ثلاثة أيام أخرى .. وفى هذه الأيام أعطانى الرب نعمة ، كما أدركت معنى هذه الآيه (غل ١ : ١٥) من خلال استعراضى لحياة الرسول بولس ، أيضاً أنار الروح القدس ذهنى بكلمات هذه الآية فاكتشفت ، كل ما إحتواه ذهنى من مؤثرات ، وكيف حولت النعمة الإلهية كل هذه لكى يعدنى الرب لموضوع دعوته لى « وهو خدمة الكهنوت » ، وسأشرح لكم هذا فيما يلى

النعمة والإيمان الذهنى

آمنت على مستوى الذهن بما يلى ..

+ الخدمة فى الفكر الكتابى هى ، **الله يعلن ذاته فى خدامه** (الآنية الخزفية) كما يقول الرسول بولس (٢ كو ٤ : ٧)

+ الخدمة وبالأخص الكهنوت دعوة من الرب ..

النعمة والإيمان القلبى

أما الإيمان القلبى فهو مرحلة تالية للإيمان الذهنى ، وفيها يستقر الإيمان فى القلب . بمعنى أن الإيمان ينطبع فى الوجدان ويصبح هو المحرك للمشاعر والعواطف ، بما يحقق للإنسان ارتباطاً أقوى بالرب وإنتماءً حقيقياً للوطن السماوى ، ولا يستطيع أى شىء خارجى يضاد الإيمان ، أن يحرك مشاعر الإنسان ويلعب بعواطفه فى هذه المرحلة ويتطلب هذا :

١ – نقاوة القلب ، ويساعد عليه كثيراً التجديد الذهنى ..

٢ – استعلان المسيح فى القلب .

٣ – إحساسا روحيا بالوطن السماوى ..

٤ – المعايشة القلبية للمجد الأبدى كعربون ، يقدمه الروح القدس بحلول المسيح فى القلب .. ينمو الانسان فى هذه المرحلة بمقدار جهاده فى بذل الذات ، وبالأخص فى صلاة القداس والتناول من الأسرار المقدسة ..

+ وأهم ما تتميز به هذه المرحلة ، أن يقتنى الانسان ذهنياً فكر المسيح الذى تستنير به بصيرة القلب ، لترى ما لايمكن أن يرى بالأعين الجسدية ..

+ ويتسع قلب الخادم فى هذه المرحلة لكل الخطاة ، إذ يصير عمله لأجلهم ، هو الإعلان المرئى والملموس لعمل المسيح لأجل خلاصهم . وعندما يقول الرسول بولس ، أولادى الذين

أتمخض بهم إلى أن يتصور المسيح فيهم أو ولدتكم فى الرب فهو لا يعارض بمثل هذه الأقوال ، أبوة الرب لنا ولا يحجزها عنا ، بل العكس من ذلك ، فهو يؤكدها ويعلنها فى شخصه .. الله هو الذى يلدنا بالروح أبناءً له بالخدام الذين أوقفهم لهذا العمل ، كآنية مختارة تحمل إسمه و تعلن أبوته لنا .

اخرجى على آثار الغنم

+ يخاطب الروح القدس العروس فى سفر النشيد قائلاً :

" إن لم تعرفي أيتها الجميلة بين النساء فاخرجي علي آثار الغنم وارعي جداءكِ عند مساكن الرعاة " (نش ١ : ٨) .

كل من هؤلاء الرعاة مشعل عبر الطريق إلى معرفة الرب . الله هو الذى يوقد سراج حياته ويضعه فوق المنارة ، لينير لنا بما أنعم به عليه الرب من سمات للقداسة .

+ المسيح هو الطريق الوحيد لمعرفه الرب ، فهو الراعى الذى يجمع فى شخصه كل هؤلاء الرعاة ، وهو الأب الذى يتبنانا بخدمته المعلنة فيهم جميعاً ..

+ هذه المرحلة – الإيمان القلبى – لا تلغى المرحله الأولى وان كنا أشرنا اليها كمرحلة تلى المرحلة الأولى . إنها ثمرة طبيعية لإشراقة النعمة فى قلب الانسان بحضور المسيح ، التى لا يمكن أن تتحقق إلا بالثبات فى المرحلة الأولى التى تلازم المؤمن طالما وجد فى الجسد تحت الآلام ..

+ اشراقات النعمة فى قلب الإنسان ، ماهى إلا ومضات من الحب الإلهى ، يوهب بها الإيمان القلبى الذى يدفع به إلى التطلع الدائم للأبدية ، حيث يخلع الفاسد ويلبس عدم الفساد ويصير واحداً مع المسيح .. وهكذا يمتلىء معرفة بالرب موضوع الإيمان ، ويتحقق له الهدف الذى يتحرك نحوه بكماله فى الأبدية ..

هآنذا ارسلنى

+ هذا الإيمان هو الثقة بما يرجوه الخادم من خلاص للمؤمن، وهو اليقين من دخوله للمجد فى المسيح يسوع . هنا وأحسست بالحب الإلهى ينسكب فى قلبى ، ويعمل بقوة عجيبة يتسع بها حتى لم أعد أرى له حدوداً .. لم يعد هناك ما يمنعنى من أن أعلن قبولى القلبى لدعوة الرب قائلا مع إشعياء النبى " **هآنذا أرسلني** " (ش ٦ : ٨)

+ اغرورقت عيناى بالدموع التى تجمعت ، لتنطلق فى مسارات متعددة على وجهى أسفل العينين ، تتعرج فى طريقها حيناً وتستقيم حيناً آخر ، منها ما يدخل فمى ومنها ما يتساقط عند ذقنى .. كل هذا كان نتيجة لخفقان قلبى فى صرخات الذهن ، التى لا يسمعها إلا الرب الحال فى ، وهى :

+ أيها الرب العارف قلب كل احد القدوس المستريح فى قديسيه الذى بلا خطية وحده القادر على

مـغـفـرة الـخطايا أنت تعلم يا سـيـد أنـى غـيـر مستحق لهذه الدعوة للقيام بالخدمة المقدسة التى لك .

+ ليس لى وجـه ان اقـتـرب منك ليـعلن حـبك فى للآخـرين . اغـفر لى أنا الـخاطىء ، ككثرة رأفتك كن معى ..

+ اشترك معى فى العمل . باركنى ، أنت هو غفران خطاياى و ضـيـاء نفـسى ، حـيـاتـى وقـوتـى ودالتـى ..

+ أنت دعـوتنى لخدمـة النفـوس التى لك أنا عـبدك الذليل غير المستحق ..

*** إجعلنى مستوجباً بقوة روحك القدوس . أن اكون أميناً فى هذا العمل وأهلا له . فلا أحـجب بذاتى عملك الذى به وحـده خلاصهم ..**

*** أعنى ، فأكون مع جميع الذين تأتمننى على خدمة خلاصهم صعيدة واحدة ترتفع اليك فى صعيدة ابنك حتى نكون بلا لوم أمامك ..**

+ امـتلك قلبى شـعـور عـجـيب بالخـوف والـرعـدة ، مع احساسى بحلول الرب ، وحضـوره العامل بقوة روحـه القدوس فى أعماقى للتهيئة والتأهيل لهذا العمل المجيد .. هذان هما

العاملان اللذان أسرا ذهنى فى دائرتهما فعبر عنهما بهذه الكلمات التى سجلتها لكم أيها الأحباء .

+ لم أشعر بالوقت الذى استغرقته فى النطق بهذه الكلمات .. والشىء الأعجب من ذلك أن قوة الروح التى أشرت إليها والتى امتلكت قلبى ، قد تلاشت أمامها حدود ذهنى التى فرضتها أحاسيسى الكاذبة بقدراتى وامكانياتى البشرية ، وصارت هى المضمون الحقيقى لهذه الكلمات ..

+ امتلأت ثقة فى أن الرب يسوع هو العامل فى الخدمة ، وأن فضل القوة له فى أى عمل يقوم به الخادم الأمين .. هو قوتى وقد صار لى خلاصاً مقدساً .. ويستحيل أن يقبل إليه احد ما لم يجتذبه الآب ولا أحد يعرف الآب إلا الذى يعلنه الإبن له ..

+ بعد انتهاء هذه الخلوة ، عدت إلى القاهرة ، وبعد تدبير كل شىء لإتمام هذه الدعوة ، سافرت مع زوجتى وأولادى إلى القرية حيث تمت رسامتى كاهناً على الكنيسة ، وفى الصفحات التالية سأسجل لكم شئ من عمل الرب معى فى الخدمة ككاهن ، وبالأخص سأذكر منها ما يؤكد عملياً كل ما ذكرته لكم حول موضوع هذا الكتاب (موت الموت) ..

الحب الذى لا يموت

حملت الصليب بكل فرح فى بداية خدمتى ككاهن مع إحدى بنات القرية الأتقياء ، وذلك فى مواجهة تجربة مرة أليمة تعرضت لها .. عشت الحب الذى لا يموت فى هذه المواجهة وإقتنيته لنفسى بالصليب .. لقد صار سلاحى الذى أشهره فى كل خدمة يدعوننى الرب لها وذلك بقبولى للصليب . ويسعدنى أيها الأحباء أن أقدم لكم فيما يلى قصة الإنتصار العجيب للحب الذى لا يموت

تجربة أليمة

+ تزوجت سالى (إحدى بنات القريه الجامعيات) من رجل ثرى يمتلك متجراً كبيراً فى القاهرة ، وبالطبع كانت تعيش معه فى إحدى الأحياء الراقية بالقاهرة . كان الرجل مرتبطاً بالكنيسه وقت زواجه منها ..

+ التقيت بها كثيرًا فى الأجازات الصيفية التى تعودت أن تقضيها مع أسرتها فى القرية ، وكان زوجها أمين يأتى معها فى أول الأجازة ليقضى معهم بضعة أيام قليلة ، ثم يعود إليهم فى نهاية الأجازة (مدتها شهر تقريباً) ، ليصحبهم إلى القاهرة ..

+ تميزت هذه الزوجة الصالحة بحبها الشديد للكنيسة وللخدمة فى القرية .. وجهها يشع نوراً وقلبها الملتصق بالمسيح يُضفى على سماتها الشخصية مسحة من الجمال تسمو بفكر من ينظر إليها إلى فوق حيث المسيح الأبرع جمالاً من كل بنى البشر وكان أولادها كيرلس ومينا ومارينا مثلاً قدوة لكل أولاد القرية ..

+ كانت سالى بالقرية فى الأجازة الصيفية كالمعتاد ، عندما توفى جدى ، وحضرت سيامتى كاهناً ، وبقيت فى القرية مع أولادها حتى بعد عودتى من الخلوة بالدير ومدتها أربعين يوماً بعد السيامة . لقد إمتدت إقامتها بالقرية إلى العام الدراسى الجديد وألحقت أولادها بمدارس المدينة القريبة من القرية ..

+ وقبل أن اسألها عن السبب فى هذا قرأت فى ملامح وجهها ما تُعانى منه .. والأمر الذى يفهمه الروحيون جيداً ، أن دموعها الكثيرة التى لا تجف وبالأخص وقت وجودها بالقداس ، كانت تنطق فى صمت بقوة إيمانها ورجائها فى الرب يسوع ..

+ طلبت منى سالى ، بعد قداس يوم الأحد الذى يلى عودتى من الدير بأسبوعين ، أن أزورها فى البيت لأشاركها أثقالها ..

+ ذهبت اليها فى البيت مساء ذلك اليوم ، وعندما جلسنا معاً .. قالت لى والدموع فى عينيها ومرارة نفسها أكثر من الكلمات التى نطقت بها : زوجى أمين مات ، ولكن كلى ثقة فى أن الرب الذى أقام لعازر بعدما أنتن سيعود به يوماً إلى الحياة بصلوات قدسك .. بالطبع فهمت قصدها من موته .. واستعرضت أمامى المشكلة بكل تفاصيلها التى بدأت منذ سنتين . وبالرغم من قسوة التجربة ، إلا أننى تعزيت بإيمان هذه الزوجة (سالى) ورجائها فى المسيح .

قوة الحب

+ لقد أَعربت عن حبها لزوجها ، واتفقت معها على ان أقيم قداساً اسبوعياً يُخصص للصلاة من أجله ، هذا بالاضافة الى أننى سأذكره فى كل صلواتى .. صمتت قليلاً ثم قالت : لقد رجعت الى قريتى ومعى الأولاد حتى لا يشعروا بشىء يُعثرهم فى أبيهم ، وللآن لا يعرف أحد شيئاً عن مشكلتى حتى أقرب الناس إلى ..

+ وإننى حريصة على أن أغتنم كل فرصة يتيحها الرب لى وأسافر إلى سكنى بالقاهرة ومعى الأولاد حتى لا يُحرموا من أبيهم ، واشكر الله كثيراً ان محبتى له لم تهتز ولم أفاتحه فى شىء حتى الآن ، **وكلى ثقة فى أن المحبة أقوى من الموت الذى يقاسيه ، وقطعاً ستعود به يوماً إلى الحياة ..**

+ أبى ، إننى أعلم جيداً كزوجة ، أنه سقط فى حبائل إمرأة شريرة . فتحاشيت الحديث معه فى هذا الموضوع طوال السنتين الماضيتين حتى لا أزيد جرحه إتساعاً ، وحتى لا يفتر حبه لى . **فكلى ثقة من واقع محبتى له أنه يحبنى وبالتأكيد فإن هذا الحب الذى انسكب فى قلبينا فى سر الزيجة سيعود به يوماً إلى الحياه ..**

+ لقد الحقت أولادى بمدارس فى المدينة القريبة من قريتنا وفاجأته بهذا عندما استأذنته فى أننى افضل البعد عن القاهرة فترة من الزمن ، حتى يعود إليها المناخ الأسرى الذى نريده معاً لأولادنا ، والذى يربطهم بالرب يسوع .. **فهذه مسئوليتنا التى قبلناها بفرح ، أن ينشأوا فى محبة الرب يسوع ، وقد قطعنا العهد على نفسينا بذلك يوم عماد كل منهم ..**

+ ودعنا إلى محطة القطار وقبل أن يتحرك القطار أجهش بالبكاء ، وهو يقبل أولاده ويقول لى سوف لا نفترق كثيراً .. صلى من أجلى ، وأرجو أن تطلبى من أبونا بولس أن يصلى لأجلى ..

لهذا آثرت أن أنقل إليك تفاصيل المشكلة و أبلغك رغبته هذه ..

وفاء الزوجة

+ تعجبت كثيراً من وفاء هذه الزوجة وحبها لزوجها وشكرها للرب فى تجربتها ..

+ معايشتها للصليب هى سر هذه المحبة لزوجها ، وهى القوة العاملة فيها للخلاص ..

+ وهى التى ترفعها فوق كل مطلب جسدى ، وتفتح بصيرتها على المجد الأبدى لتذوق وتنظر ما أطيب الرب ..

+ وهى التى تُعطيها الحكمة فى التعامل مع زوجها فقد كانت تشعر أن محنتها الحقيقية ، هى فى قيود الشر التى أسرت زوجها لعبودية الشرير ..

+ لقد كانت تجاهد فى الصلاة بلجاجة مدعمة بإيمان قوى ثابت ودموع بلغت من القوة ما يغلب له الرب ..

+ تركت هذه الزوجة القديسة ، بعد أن ختمنا حديثنا بالصلاة والحقيقة التى يجب على أن أقر بها .. أن إيمان هذه الزوجة أضاف إلى إيمانى قوة جديدة ، ارتقت به إلى المستوى الذى لا ييأس إطلاقاً من خلاص أحد ..

+ محبتها لزوجها ألهبت قلبى حباً له ، وأدركت أن المحبة الحقيقية لا تسقط ابداً .. لم تهتز محبتها لزوجها رغم خيانته

لها . كانت تقول : إننى أرى أعماق زوجى كما أرى أعماقى ، كلى ثقة أن محبته لى تفوق المحبة التى له فى قلبى .. كلى ثقة يا أبى أنه مهما تعاظمت مياه العالم التى تكتنفه فلن تستطع أن تطفىء محبته لى . قد تتوارى محبته وتبعد بعيداً فى الأعماق السحيقة له ، وقد تفقد كل مظاهر الحياة ولكن ثق أنها لن تموت ، ستنهض يوماً ما وستحطم كل ما يعترض طريقها أو يوقف كل ما لها من مظاهر الحياة ..

قوة الصلاة

+ لم أستطع النوم طوال هذه الليلة إذ كانت كلماتها تتردد فى أعماقى بقوة عجيبة ، كانت تنهضنى كلما ضعف جسدى وتثقلت بالنوم ، وكأنها تهمس فى أذنى بكلمات الرب يسوع "**أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة**" (مت ٢٦ : ٤٠) .

+ بالطبع شعرت زوجتى بشىء ما يدفعنى للسهر والصلاة فآثرت دون أن تسألنى شيئاً أن تبقى معى .. شاركتنى الصلاة الليل كله فى تنهدات قلبية ودموع غزيرة تطلب من أجل أن يتحنن الرب ويستجيب لما أطلب لأجله ..

بقيت هكذا حتى جاء ميعاد القداس فأيقظنا أولادنا وذهبنا معاً إلى الكنيسة ..

حلـم عجيب

+ إلتـقـينا علـى باب الكنيسـة مع مـدام سـالى وأولادها ، وبعد أن سـجدنا جميـعاً أمـام الـهيكل وقبلنا الأيقـونات ، قبلت مدام سالى الصليب فى يدى آخر الكل وهى تقول لى : حاللنى يا أبى لقـد تسببت فى سـهرك طوال الليل ، فـأنـا أيضـاً لم أنم والشىء المعزى والمفـرح والذى يجب على أن أقوله لك لتشترك فى فرحـى :

+ أننى شعرت بصلواتك وصلوات المدام تعانقان صلاتى ، لتمتزج جميعها بصلوات جمهرة كبيرة من الملائكة والقديسين فى سيمفونية جميلة تنطلق فى قوة جبارة إلى الرب الذى أحبنا .. كلى ثقـة يا أبى أنك طلبت صلاة كل الملائكة والقديسين الذين نذكرهم فى المجمع.

+ إننى واثقـة أن المشكلة قـريبـة الحل جـداً .. ترقـرقت دموع الفرح فى عينيها فـأضـفت عليها جمـالاً روحياً يخطف قلبك إلى حيث المسـيح ويأسرك لحبه .. ثم نظرت إلى ابنتـها مـارينا وفى هدوء مـلائكى وابتسـامة واثقـة ربتت على كتفـها وهى تقـول:تعالـى يا مـارينا فـرحى أبونا بالحلم الجمـيل الذى رأيتيه.

+ جلست بجوار الهيكل وجلست مارينا بجوارى ثم بدأت تقص على الحلم ..

١ - سياط الخطية

+ قالت : رأيت إمرأة شبه عارية جميلة جداً فى منظرها ، ولكنها شريرة جداً . نظرت إلى فرأيت عينيها مملوءة شراً فتخوفت منها ، ويبدو أنها كانت تريد أن تخطفنى . وكان يحيط بها مجموعة من الرجال يخدمونها ، لونهم أسود ومتوحشين فى طبعهم ، أعينهم حمراء كالنار ، وشعرهم طويل ومنكوش ، أظافرهم طويلة وكل منهم يرتدى شورت فقط وهم يمسكون فى أيديهم سيوف ورماح وسياط ومشاعل ، وجميعهم يجلسون تحت أقدام هذه المرأة الشريرة ..

+ رأيت بابا بعد هذا المنظر ، وكان يلبس روبه الأبيض الجميل، وبإشارة من هذه المرأة للرجال الأشرار رأيتهم ينقضون على بابا . وبعد مقاومة شديدة منه أمسكوه ومزقوا الروب الأبيض وألبسوه روباً أسود بدلاً منه ، وبعدما ربطوه من يديه ورجليه حملوه وألقوه تحت أقدام هذه المرأة . فأمرتهم أن يدخلوه فى الحجرة الداخلية بينما كان يصرخ ويستغيث والقوا به على الأرض وأطفأوا نور الحجرة ، ثم أغلقوا الباب..

+ وبعد فترة بسيطة ، جاءت المرأة الشريرة ومعها سوط ، ويمشى وراءها مجموعة من الرجال المتوحشين . وبعد أن فتحوا لها باب الحجرة ودخلت إليها ، أغلقوا الباب عليها مع بابا ، وهم ينتظرونها خارجاً على الباب ..

+ سمعت صوت بابا ، وهو يصرخ ويستغيث بالقديسين

بينما كانت هذه المرأة تضربه بلا رحمة وتقول له لن أكف عن الضرب حتى تكف أنت عن الصراخ ، وتوافقنى فى كل ما أطلبه منك .. وبعد فترة صمت بابا وكفت هى عن ضربه .. أنا كنت بأصرخ بأعلى صوتى وأنادى ، أمى العذراء وحبايبى القديسين مارجرجس ومارمينا وأبو سيفين وكل اللى كنت بأعرف أسماءهم ، وزاد صراخى بحرقة وخوف شديد عندما صمت بابا لأنى اعتقدت أنه مات ..

+ زاد بكائى وسالت دموعى بغزارة . وفجأة فتحت المرأة الشريرة الباب ، وأمرت واحداً من الرجال فدخل إلى الحجرة، وبعد أن فك قيود بابا ، أمره بخلع الروب الأسود وأن يرتدى الشورت الخاص بهم . ثم خرج الرجل وبابا وراءه منهكا لا يقوى على الحركة ، ووقفا أمامها بينما كانت تجلس على عرش يتوسط صالة فسيحة . وتقدم رجل آخر وبعد أن درب بابا على كيفية التعامل مع المرأة ، أمرتهم جميعاً بالإنصراف فيما عدا بابا . فرأيته يقف أمامها ذليلا منكسراً ، وبمجرد أن أومأت إليه برأسها ، تقدم فى خطى ثقيلة ثم سجد أمامها وبعد أن قبل قدميها نهض ليقبل يدها ..

+ عندئذ رأيتها ناراً تشتعل وتحيط بابا من كل الإتجاهات ملأ الحزن قلبى ، وصار مثل حبل التف حول عنقى فشعرت بأننى مخنوقة ، كنت اريد ان أقول لبابا الآيه التى حفظتها منه " **للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد** " (مت ٤: ١٠) ولكن لم

استطع ، ثم سقطت على الارض مغشياً على ..

٢ - قـوة الصليب

+ بعـد هذا المشـهد الأليم رأيت بابا يسـوع على الصليب وماما العذراء جالسة بجواره ، وواضـح أنها كانت متأثرة بما حدث لبابا .

+ أردت أن أقـبل قـدمى بابا يسـوع ولكن لـم أسـتطع ، فـأخـذتنى العـذراء فى حـضنهـا وضـمـتنى إلـى صـدرها وهى تمسـح دمـوعـى وتقـول اطمـئنى يـا مـارينا ، الرب يسـوع سـينقذ بابا .. أنظرى خلاص الرب ..

+ رأيتك يـا أبى فى مـلابس الخـدمـة تصلى أمـام المذبح ، ومـاما تصلى بدمـوع غـزيرة . وعندمـا بدأت تقرع صـدرك وأنت ممسـك بالصـليب فـى يدك ، رأيت جـــمـــهـور من المـلائكـــة والقديسين يقفون أمام أمنا الحنون ..

+ اتجـهت عـيناى نحـو الرب يسـوع وهو على الصـليب ، فرأيته مـبتسمـاً . قبلت قدميه وثبت عيناى نحوه .. ثم رأيت يده تمتـد والدم يسـيل منهـا ، وبناء على طلب العـذراء القـديسـة مريـم ، تحـرك جمهور الملائكة إلى حيث كان بابا ، وبمجرد أن اقتربوا ، انفتحت كل الأبواب . كان بـابا يصـرخ ويئن ، والدم الذى يسيل من يد الرب يسوع يمتد إليه حتى غطاه بالكامل . فانفصلت عنه النيران تمامـاً ، ثم سـقطت المرأة الشـريرة على

الأرض وتغير شكلها ، وصار قبيحاً للغاية وهى تتلوى على الأرض وتصرخ ، وهكذا أيضاً كل الرجال خدامها ، فالنيران بدأت تلتهمهم جميعاً ..

+ حينئذ تقدم الفرسان الشجعان مارجرجس ومارمينا وأبوسيفين وعلى ما أظن كمان الأمير تادرس وأخذوا بابا وأتوا به لقدسك ، فجلس أمامك على أعتاب الكنيسة وهو يبكى فى ندم شديد بينما تضع قدسك الصليب على رأسه وتصلى . وبدأ كل شىء فيه يتغير الى الأحسن وظل هكذا حتى أعاد له الملائكة الروب الأبيض فارتداه ثم تناول من الأسرار المقدسة وأصبح وجهه منيراً مثل كل القديسين ..

+ انفرجت أسارير مارينا وغطت الإبتسامة وجهها ، ثم أضافت قائلة : استيقظت يا أبونا بعد ذلك على صوت ترنيم جميل للملائكة والقديسين وهم يقولون

جفف مدمعك من البكاء أمل مسمعك نحو السماء
لا تدع عمرك يمضى هباء وليكن حبى هو الرجاء
أنا ممسك بيمينك إلى الأبد

+ فرحنا جداً بهذا الحلم الجميل ، واستبشرنا به خيراً ، وأدركنا أن خلاص الرب قريب جداً . صلينا القداس وشعرنا جميعنا باطمئنان عجيب ، ثم إنصرفنا وجميعنا يترقب خبراً مفرحاً بعودة أمين ..

٣ - النجـــاة

+ بعـد يومـين من صـلاة القـداس ، جـاءت مـدام سـالى صباحاً تطرق الباب لتزف إلى الخبر المفرح الذى نترقبه ..

+ عندما فتحت لها الباب ورحبت بها رأيت فى وجهها علامات تدل على ما يجيش بصدرها من فرح لا ينطق به ومجيد ..

+ جاءت حنان زوجتى على صوتها ، وجلسنا جميعا فى حجرة الصالون ..

+ قالت مدام سالى : حاللنى يا أبى .. إذ أننى أتيت لك فى وقت مبكر .. إننى أشعر بتعبك لأجلنا لهذا آثرت أن تكون أول من يسمع هذا الخبر المفرح ..

+ استأذنت حنان وهى تقول : يسعدنا يا مدام سالى أن تتناولى معنا الإفطار .. نظرت الى مدام سالى فى لهفة وإشتياق لسماع الخبر المفرح ، فقالت والدموع تسيل من عينيها ، إتصل بى أمين قبل أن أجىء لقدسك مباشرة وأبلغنى ما يلى:

+ أن الرب قد تمجد بقوة عظيمة ، واستجاب لصلواتكم ، وأنقذنى من التجربة المرة الاليمة التى مررت بها .. سأحضر غداً فى القطار الذى يصل عندكم الثانية عشرة ظهراً . أرجو أن يكون أبونا بولس فقط فى انتظارى ، سأذهب معه فوراً إلى

الكنيسة لكى أعترف بكل خطاياى .. إننى لا أريد أن تريننى ، إلا بعد أن أستعيد لنفسى فى صلاة التحليل التى يرفعها لأجلى أبونا كل ما فقدته بالخطية .

+ أعتذر عن كل ما حدث .. أرجو أن تسامحينى .. انا لا أستحق محبتك .. صلاتك لأجلى.

+ فرحت جداً لهذا الخبر ، وبعد أن تناولنا الإفطار ، استأذنت مدام سالى وهى تقول : سأنتظر قدسك والمدام والأولاد لتتناولوا جميعاً الغداء مع أمين بعد عودته ..

+ إنتظرت أمين على المحطة .. التقينا فى حب وفرح .. ذهبنا معاً إلى الكنيسة .. فتحت باب الكنيسة وسجدت أمام الهيكل وبعدما قبلت القديسين فى الأيقونات ، وقدمت الشكر للرب الذى إفتقد أمين برحمته وأعطاه توبة ، لاحظت أن أمين مازال فى الخارج .

+ خرجت اليه فوجدته منسكباً على أعتاب الكنيسة يجهش فى البكاء ، ويقرع صدره ودموع الندم لا تتوقف ..

+ نظر إلى وهو يقول حاللنى يا أبى .. إننى لا أستحق الدخول إلى بيت الرب إلا بعد أن تستمطر بصلاتك مراحم الرب لى فى صلاة الجاحد ، وفضل أن يقدم اعترافه على أعتاب الكنيسة ..

صلاة الجاحد : هى صلاة تصليها الكنيسة للذى يتوب ويعود للأيمان بعد الردة عنه.

الفصل الثالث

حوار حول الفداء

+ خُلق الإنسان على صورة الله ومثاله .

+ فما هو المقصود بذلك ؟

+ وكم هو هذا المجد الذى خُلق عليه الإنسان ؟!

+ كيف سقط الإنسان ؟

+ أجرة الخطية هى موت .

+ فما هو معنى الموت ؟ وهل من حل لمشكلة الموت ؟

+ ولماذا الخلاص بالدم ؟

+ ميراث القديسين هو الحياة الأبدية .

+ والحياة الأبدية هى معرفة الآب والإبن .

+ هل يمكن أن نشترك فى ميراث القديسين من غير الفداء ولماذا ؟

ليعطنا الرب نعمة بروحه القدوس فنعيش الفداء كما يقدمه لنا هذا الفصل ..

تمهيـــــد

بعد سيامتى كاهناً على الكنيسة بإسم (بولس) أعطيت لخدمة الشباب النصيب الأكبر فى إهتماماتى لأنهم مستقبل الكنيسة .

تعرضت لتساؤلات كثيرة من الشباب حول موضوع الفداء ، وبالتأكيد فإن الوسط الذى نعيش فيه هو الذى يطرح هذه التساؤلات على الشباب ، فالفداء موضوع سُخريتهم وإليه يوجهون دائماً سهام نقدهم وتهكمهم ..

إعتكفت ثلاثة أيام للصلاة ودراسة هذا الموضوع فآثرت أن أقضى الأجازة الصيفية معهم فى أنشطة كثيرة (معسكرات عمل ، خلوات روحية ، مؤتمرات ، وأيام روحية ...) لكى نعيش عملياً الفداء فى هذه الأنشطة ... فتتشبع نفوسنا بالحب الذى صار لنا فى الفداء ونقتنيه كطاقة تُحرك مشاعرنا للإيثار والعطاء فى تعاملنا مع الآخرين . والأمر المهم الذى ألفت النظر

إليه هو أن الإختبار الصادق - إذا سبق المعرفة - ستكون المعرفة صحيحة نقية وميسورة للذهن .

ثم رتبت ثلاثة أيام فى أجازة نصف السنة على أن نبدأ كل يوم بالقداس ثم مائدة أغابى يخدمونها بأنفسهم وننصرف لنعود فى المساء ، نرفع بخور عشية ونجلس للحديث فى هذا الموضوع وفيما يلى سأعرض لكم أيها الأحباء هذه الموضوعات التى تساعدكم كثيراً فى فهم الفداء فهماً سليماً وعلى أساس إختبارى وليس عقلى ..

الصورة الإلهية ، ما هى ؟

يقول الوحى الإلهى :

" وقال الله نعمل الإنسان علي صورتنا كشبهنا " (تك ١ : ٢٦)
" فخلق الله الإنسان علي صورته . علي صورة الله خلقه ذكراً وأنثي خلقهم " (تك ١ : ٢٧) .

إذاً ما هى طبيعة هذه الصورة ؟

وما هى سماتها ؟

وبماذا نعرفها ؟

هل هذه الصورة للروح أم للجسد أم للإثنين معاً ؟

أم هى تخص شخص الإنسان ؟!

خُلق الإنسان على صورة الله لكى يحمل فى شخصه إمكانية خاصة للشركة مع الله . تعلن هذه الشركة قداسة الله وتُعطى للإنسان أن يكون فى حركة حب دائمة نحو الأصل الذى جُبل عليه ، أى يتمثل صورة الله . الله يريد للإنسان أن يحمل إسمه القدوس ، ويعلنه بوضوح .

ولكن كيف للمخلوق أن يُعلِن خالقه ؟! .

أنعم الله على الإنسان بالوجود على صورته ، أى يحمل سمات القداسة التى لله . هذه السمات تتجمل بها روح الإنسان ، ويعلنها جسده .

الروح فى قداستها تحتوى الجسد ، والجسد يستريح فى الروح. قداسة الروح تروض الجسد والجسد يجد مجده فى القداسة ..

الله كامل فى قداسته كمالاً مطلقاً ، أما الإنسان كمخلوق فإنه يتجه إلى الكمال ، فهو فى تغير دائم يتجه إلى أصله ، ولكن هيهات أن يبلغة ..

هذه السمات تبعث الحركة فى الإنسان نحو الله ، وكلما إجتهد الإنسان لكى يزيل من طريقه ما يعوق حركته نحو الله يستمد منه القوة اللازمة لذلك ..

هذه الحركة نحو الله للتمثل بسماته يدفع إليها الله ، وهو أيضاً يضمن إستمرارها على شرط أن يقبلها الإنسان ويفرح

كلما إزداد إحتواؤها له ..

إستمرار هذه الحركة ، يُعلِن الحرية ، مجد هذه الصورة التى جُبل عليها الإنسان ..

مجد الصورة الإلهية

يستحيل علينا أن نعرف ماهية الألوهه ، وبالتالى لا نعرف أيضاً ماهية الصورة التى جُبلنا عليها .. نتحدث عن الألوهة بمقدار ما يُعلنه الله لنا ويتناسب مع إمكانياتنا فى التعرف عليه .. هكذا حديثنا عن صورة الله التى أنعم بها الله على الإنسان ..

كل ما للصورة الإلهية من سمات نراه ونعرفه . ولكن كلما تعمقنا فى هذه المعرفة أدركنا جهلنا بما تنطوى عليه سراً من أبعاد لا تحد .. فلو أخذنا إحدى هذه السمات التى تميز بها الإنسان عن سائر الكائنات الحية وجمعنا أحاديث الذين إختبروها فى حياتهم ، سنجد إتفاق هذه الأحاديث مع ما أعلنه الوحى عنها وظاهر للجميع. أما فيما تنطوى عليه من أبعاد خفية لا تُحد ، فنجد أن حديث كل منهم يُعبر عن درجته أو المستوى الروحى الذى إرتقى إليه ، وفى كل درجة يتساوى الكثيرون ولكنك تجد أن لكل منهم حديثه الذى يُبرِز خبرته ،

ويكشف مذاقته لها ..

هذه الصورة تدوم للإنسان ، ويرتقى فيها من مجد إلى مجد إلى أن يبلغ قياس قامة ملء المسيح طالما كان يحيا فى شركة مع الله .

كيف سقط الإنسان ؟

١- حوار الشيطان مع الإنسان :

يقول الوحى الإلهى فى سفر التكوين :

" وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله . فقالت للمرأة أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة . فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل . وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا . فقالت الحية للمرأة لن تموتا " (تك ٣ : ١-٤) .

هل كان آدم يعلم معنى الموت ؟! .

وهل كان يعرف معنى الشر ؟!

ولماذا أطلق الله على الشجرة التى نهاه عن الأكل منها «شجرة معرفة الخير والشر » ؟

كان آدم لا يعرف سوى الخير فما هى أحاسيسه عندما أوصاه الرب قائلاً « لا تأكل من شجرة معرفة الخير والشر» ؟

فهل أدرك فى هذه الوصية « أن الشر عكس الخير » ؟

فإذا كان الخير هو الوجود ، فإن الشر هو عدم الوجود .. إذن مـا الذى أراد الإنسـان أن يعـرفـه عن الشـر وهو غـيـر موجود ؟

وهل كان يعرف معنى الموت وأنه ليس سوى عكس معنى الحياة ؟

وهل كان ينقصه شئ فى الحياة قبل السقوط ، يود أن يعوضـه فى معرفة الشر ؟وعندما قالت الحية لحواء « لن تموتا .. » .

كيف صدقت حواء هذا الأمر ، الذى لا يتفق مع قول الله لهما ؟ ..

ما الذى تحمله هذه الشجرة فى ثمارها يمكن أن يعطيهما معرفة الخير والشر ، أى هذه المعرفة المزدوجة الجوانب ؟!

بالطبع لا شئ فى ثمار الشجرة ، الأمر يعود للإنسان وليس للشجرة .

فالأكل من الشجرة يمثل كسر الوصية ، وعدم الأكل منها يمثل طاعة الوصية ..

إذاً كسر الوصية هو إختبار الشر أو معرفته ، أما طاعة الوصية فتمثل الخير ، وما هو هذا الخير ؟ سوى تحقيق الوجود من خلال الإرتباط بالرب ؟ .

الوجود هو الله ، فالطاعة تمثل المعرفة بالله .. ينمو فيها الإنسان بمقدار حرصه على إستمرار الطاعة ..

ومن يبلغ ملء المعرفة بالرب !! طبعاً لا أحد ومع هذا فإن أى مستوى للمعرفة يصل إليه الإنسان يشعر فيه بالملء .. إذاً ما الذى أرادت حواء أن تحققه لنفسها من معرفة الشر أو إختباره . فالشر ليس له وجود فى حياتها ، لأن الوجود هو القداسة التى تُعلن الله ..

وهل من الممكن أن القدوس الكامل فى كل شئ يكون له سابق معرفة بالشر ... إنه لمستحيل !

إنها مغالطة من الشيطان ولا عجب فى ذلك فإنه كذاب وأبو الكذاب !!

٢- أكذوبة شيطانية :

خدع الشيطان الإنسان مستغلاً فرحه بالمجد الذى يعيشه كصورة لله ، وإشتياقه القوى الذى يدفعه للإجتهاد الدائم ممثلاً فى طاعته للوصية فيدوم له الإرتباط بالرب ، الوسيلة الوحيدة التى بها يرتقى الإنسان من مجد إلى مجد حتى يبلغ ملء قامة الرب يسوع أو يتمثل به ..

هذا هو الطعم ، الذى أخفى الشيطان فيه صنارة الموت !

لقد إحتال الشيطان على الإنسان كذباً فأظهر له الله

كمنافس يخشى أن يكون مثله أو يتقاسمه الوجود ، وخاصة لأن الإنسان فى أى مستوى يرتقى إليه بالنعمة ، يشعر بالرغم من ملئه بالرب أنه لم يبلغ كمال المعرفة به ، وهذا شئ طبيعى لأنه مخلوق من عدم ومحدود فكيف يبلغ معرفة الوجود غير المحدود ؟!

قال له الشيطان ": « لن تموت ! لكنك ستصير مثل الله عارفاً الخير والشر » ! لقد قفز الشيطان بالإنسان فى هذه المشورة إلى الألوهة (موضوع إشتياقه الدائم) ..

لم يقصد الله أن يكون الإنسان إلهاً ، إذ كيف يكون إلهاً وهو مخلوق ؟!

لقد أعطى الرب للإنسان كنعمة ، أن يكون إلهياً ، أى يحمل صورته ويبقى للأبد ، أى فى عدم فساد .. هذا الذى يعطى للإنسان أن يكون إلهاً بالنسبة للخليقة الأخرى ، أى سيداً عليها ، وليس إلهاً بالمعنى الذى قصده الشيطان ..

إنخدع الإنسان بكلام الشيطان وإذ قبل مشورته إنفصل عن الله ، وأدخل نفسه فى دائرة الموت ..

وهل المعرفة بالشر إذا أضيفت لمعرفة الإنسان بالخير ، تجعله مثل الله ؟!

بينما الله هو النبع المطلق لكل خير ، ويستحيل أن يكون له معرفة إختبارية بالشر .. إنه غير مجرب بالشرور .

لقد أغوى الشيطان الإنسان وكذب عليه قائلاً : « لن تموت بل ستصبح مثل الله عارفاً بالخير والشر .. سيتحقق وجودك دون الرجوع إلى الله ، أو الإرتباط به » .

« لماذا لا تستقل عن الله وتحقق وجودك بما لك من إمكانيات ؟! » .

« عدم الطاعة سيقفز بك مباشرة إلى التمثل بالله ، وطالما هذه هى رغبة الله ، أن تكون مثله ، فلماذا لا تتحرر من طاعته وتكون ذاتك بإمكانياتها هى مرجعك ؟! » .

نخلص من هذا الحوار ، الذى أجراه الشيطان مع حواء بما يأتى ..

١- أكسبها إحساساً بقسوة الرب عليهما فى الوصية .

٢- خُدعت فصدقت أن وضعها كسيدة للخليقة الأخرى ، أو وضعها الذى يماثل الله بالنسبة لهذه الكائنات يرجع إلى ذاتها ، ونسيت أنه نعمة أُعطيت لها من الله .

٣- فقدت الإحساس بأن إتحادها بالله هو الذى يضمن لها بقاء هذه النعمة وإستمرارها ، فتصورت أن إمكانياتها التى تتسلط بها على باقى الكائنات الأخرى لا تستمدها من الله ، ولذا يمكن أن تنفصل عنه . إذاً ما الذى يمنعها من أن تأكل من الشجرة لتقفز مباشرة إلى الوضع الذى يتم فيه التمثل التام بالله ..

هذه الأسباب هى التى دفعت حواء للأكل من الشجرة المنوعة ..

٣- السقوط ونتائجه :

أكلت ثم أعطت زوجها فأكل ، وفى الحال إنفتحت أعينهما وعرفا أنهما عريانان .. العين تلتقط الصورة ، والعقل هو الذى يترجمها وفق ما به من مقاييس خاصة .. هكذا أيضاً القلب يترجم رؤية العين الروحية . فإذا إختلت مقاييس العقل من الداخل بإزدواج المعرفة التى حدثت بالسقوط ، رأى الإنسان نفسه أنه عريان .

هذا الإحساس بالعرى ، لم يستطع أن يلغيه بالأقمصة التى صنعها لنفسه ، فلم يكن المقصود بالعرى عرى الجسد بل عرى النفس من البر الذى كان لها بمثابة نعمة من الرب . هذا البر لم يكن للإنسان أى فضل فيه ، إنه هبة مجانية أعطته الوضع المميز له كسيد بين سائر الكائنات الأخرى ..

هذا الوضع المميز هو الذى إستغله الشيطان لإسقاط الإنسان ، إذ أوهمه بأن هذا الوضع المميز يرجع إلى إمكانياته الذاتية فليستثمره ويبلغ به الألوهة .. للأسف نسى الإنسان أصله . فمن أين للتراب هذه النعمة أو هذا البر ؟!

لهذا قبل الإنسان كسر الوصية ففقد إرتباطه بالرب ينبوع هذه النعمة والضامن الوحيد لإستمرارها ، لقد فقد كل

ما يحقق له الوجود على صورة الله ، أى أنه مات . أو بمعنى آخر فقد إمكانية الإتصال بالرب ، أو أنه عدم حياة الشركة مع الرب الإله .. هكذا تشوهت صورته التى جُبل عليها .

إذا الخطية هى حالة إنفصال عن الله يفقد الإنسان فيها سمات القداسة التى تميز بها كإنسان ، خُلق على صورة الله ، أى أنه فقد وجوده على صورة الله بمعنى أنه فقد الحياة وصار جاهلاً بالرب الإله .

وأصبح الموت يعمل فيه أيضاً حتى يكمل موته عندما يعود إلى التراب الذى أخذ منه ، أنت تراب وإلى التراب تعود .. فكما أن الحياة هى وسيلة الله لنمو الإنسان فى معرفته والإمتلاء به ، فإن الموت هو طريق العدم ، أى أن بالموت يعدم الإنسان وجوده على صورة الله..

إذاً الخطية تتركز أساساً فى الرغبة التى أثارها الشيطان فى الإنسان ، وهى « تصير مثل الله عارفاً الخير والشر » .

أى أن هذه الإمكانيات التى تتميز بها عن سائر الكائنات الحية مرجعها ذاتك . فمثلاً لماذا لا تستثمر الحرية التى تتميز بها وتأكل من الشجرة التى نهاك الرب عنها ؟ . إنها فرصة تختبر فيها إمكانياتك فى الإستقلال عن الله .. إلى متى ستقبل سيادة الله عليك فى الوصية ! لماذا لا تكون سيداً لنفسك ؟! فأنت مرجع لكل إمكانياتك !! وإذا أعلنت هذا

بعصيانك أمام كل الكائنات الحية الأخرى ستصبح سيداً عليها من غير وساطة الله بينكما .. وهكذا تصبح أنت الإله .. سيعلن عصيانك إمكانياتك الشخصية ، ويحقق وجودك كسيد لهذه الخليقة ، مستقلاً تماماً عن الله .. إنها لحظة تصل فيها إلى كل ما أراده الرب لك !! .

فلماذا لا تغتنم هذه الفرصة ؟!

الخطية ، ما هى ؟

لم يسبق للإنسان أى معرفة بالشر ، لهذا كان يتحتم على الشيطان أن يصنع مع الإنسان هذا الحوار ، ليقنع الإنسان ، بأن العصيان يساعده على تحقيق إرادة الله (وهى أن يصير مثله فى لحظة) بعكس ما سيحدث فى طاعته للوصية ..

وهكذا يسهل على الإنسان أن يأخذ القرار بالعصيان ، ويرى فى العصيان تحقيقاً لرغبة الله ، ولكن بإمكانياته البشرية ..

الخطية إذاً ، هى رغبة الإنسان فى تحقيق الألوهية لنفسه ، منفصلاً عن الله ..

فمن أين له أن يحقق هذا ، وهو فى الأصل عدم ؟!

إن الأصنام الكثيرة التى إكتظ بها العالم ، منذ سقوط

آدم ، ومازال يكتظ بها العالم ولكن فى أشكال غير مادية ، تشرح لنا معنى الفكر السابق ذكره .. الإنسان يصنع أصناماً تتمثل فيها صورة ذاته ليعبدها ويدعو الآخرين لعبادتها . أى أن هذه الآلهة مرجعها ذات الإنسان . لذا فإن معلمنا بولس الرسول يُشَخصِّن الخطية فى أحاديثه عنها ، ويذكر لها أحياناً أعضاء تعمل بها .. هذه الأعضاء ما هى إلا مظاهر للموت الذى دخل إليه الإنسان ، أو الذى ملك الإنسان ..

الخطية بهذا المفهوم هى فساد الطبيعة الإنسانية ، أى فقدانها كل ما يحقق لها الوجود على صورة الله ، ويضمن البقاء لهذا الوجود من خلال الإرتباط بالرب .

فما هو الحل ؟

لا يوجد حل لمشكلة الموت هذه ، أى الإنفصال عن الله سوى موت الذات فتموت معها آلهتها ، أى الصور الكثيرة التى تعبر عنها، ثم يُعاد تجديد الإنسان ليحمل الصورة التى مرجعها الله وليس ذاته . هذا هو الوجود أى الحياة ..

فمن يستطيع تجديد الإنسان غير الذى خلقه ؟

لهذا قال الرب يسوع ..

" أنا هو الطريق والحق والحياة " (يو ١٤ : ٦) .

" أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل .. "(يو١٠: ١٠)

الرب يسوع وحده ، أمات بموته موت الإنسان ، وأعاد له الحياة أى الشركة مع الرب الإله .

يعرض القديس أثناسيوس الرسولى لمشكلة الموت (فساد الطبيعة البشرية) فيأخذ دور السائل والمجيب ، أى أنه يصنع حواراً حول هذه المشكلة يقود فيه القارئ بقناعة تامة إلى الحل الوحيد الذى لا بديل له فيقول :

أيطلب الله من البشر التوبة عن تعدياتهم ؟! لعلهم كما ورثوا الفساد بسبب التعدى ينالون عدم الفساد بسبب التوبة .

ولكن ، هل تستطيع التوبة أن توفى مطلب الله العادل ؟

بالطبع لا . لأنه إن لم يظل الإنسان فى قبضة الموت يكون الله غير صادق !!

وهل يمكن للتوبة أن تغير طبيعة الإنسان ؟!

لو لم تفسد طبيعة الإنسان بالخطية لكانت التوبة كافية.

التوبة لا تستطيع أن تعمل فى الخاطئ أكثر من أنها تقف حائلاً بينه وبين إرتكاب الخطية بمعنى أنها تمنعه عن إرتكاب الخطية فقط ، ولكنها لا تستطيع أن تصلح طبيعته التى فسدت ..

عدم الفساد هو نعمة أعطيت للإنسان ، وهى أن يكون الإنسان على صورة الله ومثاله . فمن هو إذاً الذى يستطيع أن يعيد إلى الإنسان تلك النعمة ويرده إلى حالته الأولى ، إلا كلمة

الله الذى خلق كل شئ من العدم فى البدء ؟! لهذا إتحد ابن الله عديم الفساد بالجميع بطبيعة مماثلة ، لكى يلبس الجميع فيه عدم الفساد ، وذلك بوعد القيامة من الأموات . فلم يعد ممكناً لفساد الموت الفعلى أن ينشب أظفاره فى البشر .

هل الوجود دَين ؟

هل الوجود دين ؟ وما هو معنى الدين ؟ ولمن يكون هذا الدين ؟

لا يُقصد بالطبع الدين بمعناه التجارى المعروف . لقد أُعطى الإنسان كنعمة أن يُوجد على صورة الله ومثاله . إذاً لم يكن له إرادة فى أن يوجد هكذا ، فهل يُحسب وجوده هذا ديناً عليه ؟!

إن هذا الوجود الذى صار للإنسان ، هو هبة مجانية مرجعه الوحيد محبة الله للإنسان ..

إذاً إن إعتبرنا الإنسان مدين بوجوده ، فلا يكون هذا الدين إلا للمحبة الإلهية فقط !!

هذه النعمة التى وُهبت للإنسان هى محبة من الله ، وليس لها أى مرجع فى الإنسان ، فهو فى الأصل عدم .. لقد أُعطى دون أن يطلب ، وأخذ ما يفوق إستحقاقه أو إمكانياته .. فهل من العدل أن يحسب على الإنسان وجوده ديناً ؟

وهل إذا فقد هذه النعمة ، ولو بإرادته يُطالب بردها كدين عليه ؟

الذى أعطى للإنسان هذه النعمة هو وحده القادر أن يجدد عطاءه هذا للإنسان ..

ليس على الإنسان سوى أن يستثمر محبة الله ، وذلك بأن يُخضع إرادته دائماً لإرادة الله فتدوم له هذه النعمة .. وهذا هو إيفاء الدين من ناحية الإنسان لو إعتبرنا وجوده ديناً ..

الفادى

أوصى الله الإنسان قائلاً : إن أكلت من هذه الشجرة (موتاً تموت) .. فما هو المقصود من هذا ؟ .

لقد أغوى الشيطان حواء ، ورسم لها طريقاً آخر تحقق فيه حسب زعمه الكاذب إرادة الله وتصير مثله .. وإذ إستهوتها فكرة الشيطان هذه تشكلت إرادتها بها وقويت فى إتخاذ القرار ، أى أنها أكلت من الشجرة وأعطت زوجها فأكل معها .

وهكذا إنفصلا عن الله ، أى فقدا نعمة الوجود على صورة الله فدخل الموت إليهما ، كفعل يعمل فيهما حتى تمام موتهما «موتاً تموت » !!

فالموت ، نتيجة حتمية للإنفصال عن الله . ولم يكن الله

بالنسبة للإنسان الذى خلقه قاضياً فقط يُسنِن القوانين ويحاسبه إذا كسَّر هذه القوانين ..

خطية الإنسان هى فى الحقيقة عصيان ، ولكن ما هو تأثير هذا العصيان على الله ، بالطبع لا شئ ، الإنسان هو الخاسر فى عصيانه.

الوجود فى صورة الله نعمة أو عطية محبة للإنسان لم يكن للإنسان إرادة فى قبولها ، فإذا قلنا أن الإنسان مدين فنقصد أنه مدين للمحبة الإلهية ، وبأى شئ هو مدين ؟ إنه مدين بالحب . والحب عطية نعمة من الله للإنسان ، فالله إذن هو الذى يُوفى دين الإنسان .

إذاً الله هو الفادى المحب للإنسان الخاطئ ، فما هو معنى الفداء إذن ؟

الفداء ، ما هو ؟

الله كامل كمالاً مطلقاً فى كل صفاته ، إنه عادل فى حبه ومحباً فى عدله ، أو أن عدله حب ، وحبه عدل ..

إذاً إن تحدثنا عن العدالة الإلهية ، نقول أن الذى أنعم على الإنسان بالوجود دون أن يكون له إرادة فى ذلك ولا إمكانية فى الحفاظ على هذه النعمة ، لابد وأن يعيد تجديد الإنسان مرة ثانية ، أى يعيد إليه النعمة التى فقدها ، ولكن

يكن له إمكانية فى الحفاظ على هذه النعمة ، ولذا فإن الله دبر خلاص الإنسان من غير أن يكون له إرادة فى ذلك ..

وأعطى (لكل من يقبل نعمة الخلاص بإرادة حرة ، ويجاهد حتى لا تنحرف إرادته عن هذا) النعمة التى تحفظ له الخلاص ..

إيفاء الدين ، ما هو معناه ؟

أوجد الله الإنسان على صورته حباً ، فالإنسان على هذا الأساس ملك للرب ، لأن وجوده عطية من الرب . إذاً لو قلنا أن الإنسان مدين ، فهو مدين بوجوده للحب الإلهى .. هذا الدين نعمة أُعطيت للإنسان لم يكن له إرادة فيها ، فلا يُطلب من الإنسان إيفاء الدين ، أى رده ، لأنه ما الذى يستطيع أن يقدمه الإنسان لخالقه ، مقابل هذه النعمة التى أخذها ؟! ..

النعمة عطية تفوق إمكانيات الإنسان ، ولم يكن للإنسان إرادة فيها ، فهى تخرج عن نطاق الدين بالمفهوم التجارى ، إنها لا تُرد .. إذاً إيفاء الدين معناه أن يُحقق الإنسان فى حياته إمتلاك الرب له بدوام الإتصال به .. وقد كانت وسيلته لآدم طاعة الوصية التى أعطيت له .

العصيان لا يتفق إطلاقاً مع الصورة التى وجد عليها آدم . إنه خبرة شريرة أدخلها الشيطان إلى أرضية قلب الإنسان حسداً وكرهاً ، ولكى تكون هذه الخبرة للشيطان بمثابة رأس

جسر يعمل بها فى الإنسان ، لتتسع دائرة إمتلاكه فى قلب الإنسان ، الأمر الذى ينازع إرتباط الإنسان بالرب ، ويحرمه حياة الشركة التى تحقق وجوده على صورة الله وتضمن له النمو فى المجد لتتماثل الصورة مع أصلها .. فى هذه الحالة مطلوب أن يسترد الإنسان لنفسه هذه النعمة ، ولكن كيف وقد أصبح لا يملك إرادته وليس له إمكانية لذلك ، وبالأخص عندما فقد حياة الشركة مع الرب وأدخل أعماقه إلى إزدواجية رهيبة وصراع لا يهدأ ؟! هنا تبرز عدالة المحبة فى الله .

الإنسان أُدين بالوصية التى عصاها ، وإستوجب عليه حكمها، موتاً تموت ..

إذاً عدالة المحبة تقضى بأن تصلح حال الإنسان ، ومن ثم تجدد خلقته ، فيحيا فى شركة مع الله وتعود له الحياة ..

إقتضت عدالة المحبة أن الله الذى لا يموت والحى بذاته ، أن يدخل إلى الإنسان الميت بخطاياه ، ليقيمه من الموت أو لكى يقتل فيه الموت علة نزوع إرادته للشر ، أو البعد عن الله ..

ميراث القديسين

" شاكرين الآب الذي أهلنا لشركة ميراث القديسين في النور" (كو ١ : ١٢) .

من يتأمل فى عمل الله لأجلنا لا يسعه إلا أن يقدم وافر

شكره للآب ، فقد أرسل إبنه الوحيد يسوع المسيح ، الذى به وفيه نؤهل لشركة ميراث القديسين ..

هذا الذى بموته أمات موتنا .. أباد علة الموت فينا .. كسر شوكته ، لنأخذ فيه قوة القيامة التى ترفعنا فوق كل آلام الزمان الحاضر ، ونعيش جدة الحياة ونذوق طعم الأبدية (شركة ميراث القديسين) ..

هل حقاً أنا فى المسيح يسوع ؟

أنت ميراثنا فكلنا آنية خزفية ليس فينا قوة ولا إمكانية لهذه النعمة ، أضف إلى هذا طبيعتنا الترابية التى ترتبط بأصلها ويستثمر الشيطان قواها الطبيعية ، ليخرج بنا عن طريق معرفتك .

أنا إبنك وقد صرت لك عندما دخلت إلى شبه موتك فإتحدت بك فى قوة قيامتك . قيامتك قوة ترفعنى فوق كل عوامل الضعف وتعطى لروحى إمكانية الإتحاد بروحك ، فتميت أعمال الجسد التى هى ثمار الإنحراف عن الطريق إلى معرفتك .. هكذا يارب أمتلك فيك نعمة التغيير من مجد إلى مجد ..

هذا هو الحب الذى لنا فيك ، هذا هو ميراثنا ، نصيبنا الذى نسعى إليه وبه نتحرك نحوك .. هذه هى الحرية التى ترتفع بنا فوق متطلبات الجسد لنرى ونبصر ما أعظمك ..

حرية الحب هذه قوة كامنة فينا تتحرك بنا إلى حيث أنت فى أعماقنا كلما تناولنا من جسدك الطاهر ودمك الكريم .. هذه هى الحياة التى تبتلع عوامل الموت فينا .. تدوم لنا هذه الحركة (السمة الأساسية للحياة الأبدية) ما دمنا فيك أيها الرب يسوع ، إننا فى إحتياج لها بسبب آلام الجسد وأوجاعه الكثيرة .. لقد أخذنا بذرتها فى المعمودية ، وَتُنبِت دموع التوبة هذه البذرة فينا ، وتنميها ينابيع الخلاص التى تربطنا بها أسرار الكنيسة ، ويتعهدها الإيمان بالرعاية إلى أن تثمر فينا كمال الإتحاد بك فى الأبدية، الحياة التى تبتلع الموت الذى فينا

الحياة الأبدية إذن هى تمام المعرفة بالآب .. كما يقول القديس يوحنا الإنجيلى : " **هذه هي الحياة الأبدية ، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته** " (يو١٧:٢) .

+ الرب يسوع هو الحياة ، إذاً فهو طريقنا الوحيد للمعرفة ، وهو القدرة الفائقة التى تغلب عوامل الموت فينا ..

الروح القدس الذى يسكن فينا نحن أبناء الله يأخذ مما للمسيح ويعطينا معرفة بالآب ، وقدرة نغلب بها عوامل الموت .. إن لم نرفض كل معرفة تحجب عنا نوره وتعوق سيرنا نحوه لا يمكن أن نعرفه . كما يقول الرسول بولس : " **مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في** " (غل ٢ : ٢٠) . فبالقدر الذى نموت فيه عن كل معرفة من العالم تزيد فينا سرعة الحركة نحوه ..

الفداء وحبة الحنطة

قال الرب يسوع بفمة الإلهى : " **أن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقي وحدها ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير**" (يو ١٢ : ٢٤) .

ما أبلغ هذه الكلمات ، وما أعمق تأثيرها على النفس البشرية التى تحيا بالمسيح عربون المجد الأبدى .. والآن فلنتأمل معاً ، التطابق التام بين الحياة الطبيعية ، كما فى حبة الحنطة على سبيل المثال ، وبين الحياة الأبدية ...

الحياة الأبدية وجنين حبة الحنطة

الحياة تكمن فى جنين حبة الحنطة فالحبة حية بالرغم من أنه لا يبدو عليها أى مظهر من مظاهر الحياة .. والحياة الأبدية أودعها الله قلب الإنسان منذ أن خلقه كما يقول الجامعة " **صنع الكل حسناً في وقته وأيضاً جعل الأبدية في قلبهم** " (جا ٣:١١) .. وبعد سقوط الإنسان إفتداه الرب يسوع من الموت ، وصارت الحياة الأبدية نعمة تكمن من جديد فى قلب الانسان الذى يُولد من فوق أى ليس من مشيئة رجل أو من مشيئة جسد بل من الروح القدس .

تنشط الحياة فى جنين حبة الحنطة عندما تسقط على الأرض وتبتل بالماء ، فتنبت جذراً يمتد إلى التربة ويغوص فيها بعيداً عن النور ، وأيضا ساقاً تمتد إلى أعلى فى الجو

حيث النور والهواء .. الحبة تتلاشى ليحل محلها الجذر والساق بما فيه من أوراق وثمار أو قل أنها تموت لتثمر حياة بمظهر يبدو واضحاً لفترة من الوقت ، إلى أن تكمن هذه الحياة فيما تحمله من ثمار أخرى ..

الهواء عامل مشترك لنمو كل من الجذر والساق فى النبات ، والساق لا ينمو الا فى الضوء والجذر لا ينمو إلا بنمو الساق ولكن بعيداً عن الأنظار .

الجذر يمتص الغذاء من التربة ويدفع به إلى الساق ثم إلى الأوراق ، فيتحول هذا الغذاء بفعل الهواء إلى طاقة تبعث الحياة فى كل من الجذر والساق ..

الجذر والساق بكل ما تحمله من أوراق نبات واحد ، لاغنى للواحد منهما عن الآخر ويستحيل أن يحيا أحدهما بدون الآخر ..

هكذا أيضا الحياة الأبدية كما ذكرنا سابقاً أودعها الرب فينا عندما أشتركنا فى شبة موته وإتحدنا بقيامته ، وتنشط هذه الحياة فينا عندما تبتل بمياه النعمة كنتيجة طبيعية لقبولنا عمل الروح القدس فينا هذا الذى يشير إليه الهواء ..

حياتنا مستترة فى المسيح

يمتد جذر الحياة الأبدية فينا إلى الرب يسوع التربة التى إن لم نستتر فيها نفقد حياتنا ، أى أن من المهم أن نموت وحياتنا مستترة فيه .. أما الساق فينطلق وسط هذا العالم الحاضر .. الجذر يمدنا بعصارة الحياة التى يمتصها من الرب يسوع ، والساق ينقلها إلى الذهن حيث نور الكلمة وعمل الروح القدس فتنطلق كطاقة تُعلن الحياة فينا بثمار الروح القدس التى يراها الآخرون ، وليس هذا فقط وإنما جذرها يتعمق أكثر فى الرب يسوع ، أو قل أن هذه الطاقة تستقر فى قلوبنا وهذا ما يسميه الأباء باتحاد الذهن مع القلب . حينئذ تنبعث طاقة الحياة الأبدية من الرب يسوع الذى ملك القلب إلى الذهن حيث يعمل ليُجمِل الانسان بثمار الروح .

الرب يسوع يُعلن فى العالم الحاضر بواسطة مانحمله من ثمار ، هذه التى تكثر فينا كلما تَعَمَقتنا حياته وإستترنا فيه

حياتنا فى المسيح أقوى من الموت

وكما يحدث للنبات يحدث لنا أيضاً .. كلما اشتدت الرياح يزداد تعمق الجذر فى التربة ، ويقوى الساق وتزداد ثماره ، حتى وإن كسرت الساق يدفع الجذر فوراً بساق أخرى ..

هكذا نحن كلما تعرضنا لتجارب أو ضيقات كثيرة ،

يتقوى تجذرنا فى حياة المسيح ، وتزداد فينا قوة الإعلان عنه وسط العالم الذى تأتينا منه الضيقات حتى وإن بلغت الضيقات بنا حد الموت ، لا نفقد حياتنا بل يبلغ الإعلان عنها أوج مجدها ، فلقد أقامت عظام موتى أُناس آخرين من الموت (٢مل ١٣ : ٢١) .

فالموت لا يفصل بيننا وبين الحبيب حياتنا . كما يقول معلمنا بولس الرسول " **من سيفصلنا عن محبة المسيح . أشدة أم ضيق أم إضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف .. فإني متيقن أنه لا موت ولاحياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ..** " (رو٨: ٣٥-٢٩) .

ليس فقط حبة الحنطة ، وأنما كل النباتات والكائنات الحية ، فالحياة فيها مرتبطة أرتباطاً وثيقاً بالموت ، لا يمكن أن توجد الحياة من غير موت .. فالخلايا تموت دائماً فى الكائن الحى ليصنع جديداً بدلاً منها ، وهذا من أهم مظاهر الحياة والسبب القوى لوجود الحياة كقوة يمنحها الخالق للكائن الحى .. فلا توجد حياة من غير موت ..

الفداء طريقنا لشركة ميراث القديسين

والشئ العجيب حتى الكائنات الحية التى ليس لها قيامة بعد الموت ، فإن حياتها تمتد فى أولادهاً ، وعندما تموت يتحلل جسدها ويخرج منه كائنات حية أخرى تتغذى على جسدها .

نحن أخذنا نعمة الوجود على صورة الله ، أى أن يكون كل منا شخصاً يشارك الله سماته للقداسة التى تعلن الله فينا .. هذه الصورة تقترب من الأصل الذى خُلِقَت على مثاله ، فى حركة دائمة للتمثل به أو للملء بما له من سمات ، هذه الحركة صفة يتميز بها الإنسان وتعلن فرادته وسط الكائنات الأخرى ، وذلك بقبوله المستمر للموت لتعلن حياة المسيح فيه ، وكما يقول الرسول بولس " **حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا** "(٢كو ٤:١٠).

إماته الرب يسوع قوة نأخذها فى المعمودية ، وهى تعمل فينا لتُميت كل أعمال الجسد التى تحجب عنا معرفته ، وهكذا يتجدد الذهن بإستمرار ويقتنى فكر المسيح الذى يربطنا بالأبدية ، وبه نعرف الآب فى حبه لنا .

هذا هو الخلاص ثمر الفداء فينا والهدف الذى نسعى إليه ، أو الجعالة التى نرجو أن نُكلل بها . إذاً الفداء الذى أتمه لنا الرب يسوع ، هو فقط الذى به نؤهل لشركة ميراث القديسين أى به فقط ننال نعمة الحياة الأبدية ، أو نصير واحداً مع المسيح ، كما طلب لأَجلنا هكذا من الله أبيه ..

السيد المسيح إلهنا الذى لا يموت ، دخل إلى موتنا فأماته وأبطل سلطانه علينا ، وإذ ملك علينا صار هو نور معرفتنا بالله أبيه ..

الموت يعلن مجده فينا

ينمو الجذر فى نبات الحنطة وهكذا الساق إلى أن يتم نضج الساق ، فتنتقل منهما الحياة إلى الأجنة فى الثمار التى تكونت .. هكذا نحن أيضاً عندما يتحقق الهدف من وجودنا وتكتمل الثمار أو تنضج إلى المستوى الذى يُريده لنا الرب ، نموت عن هذا العالم الحاضر فلا يعد له علينا شئ ، حينئذ يصير القلب كله للمسيح. وكما أن المسيح توارى تماماً بالجسد عن الأنظار نتوارى نحن فيه عن الأنظار إلى أن يأتى مرة ثانية فنقوم فيه ليعلن بنا ملكوته الأبدى الذى لا يوجد عليه إطلاقاً أى سلطان للظلمة ..

فأقصى ما يصل إليه الموت فينا هو أن يعود الجسد إلى أصله ليقوم فى طبيعة ممجده ، أى لا يوجد فيها للظلمة شئ تنطمس بصيرتنا به وتحرمنا نوره الذى به نعرف الآب ، ويُعلن مجده فينا .

الفداء بالدم وغفران الخطايا

١- الحياة الطبيعية فى الدم

" **الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا**" (أف ١ : ٧) .

ولماذا أيضا يقول " **بدون سفك دم لا تحصل مغفرة** " ؟ (عب ٩: ٢٢).

نحن نعلم جميعاً ، أن الدم هو الوسيلة الوحيدة التى

أوجدها الله فى الإنسان لكى تمد كل خلايا الجسم بالطاقة اللازمة للحياة، وإذا لم يصل الدم إلى أى عضو فى الجسم فإنه سيموت على الفور ولاجل حماية بقية الجسم من الفساد ، يبُتر هذا العضو فوراً .

فإذا سُفك دم أى كائن حى لمات على الفور ، ولهذا قال الوحى عن الحيوان أن حياته فى دمه (لا ١٧ : ١١) فلماذا لا تُغفر الخطية إلا بالموت أى بسفك الدم ؟

خُلقت الحياة الطبيعية فى الانسان من عدم فمآلها للموت أعطى الله للإنسان نعمة خاصة تُميزه عن سائر الكائنات الحية ، وهى أن يكون على صورته ومثاله ، وهذه النعمة هى التى تُدخل الإنسان إلى حياة الشركة مع الله . ويتمثل الإنسان صورة الله فى حياته من خلال حياة الشركة هذه .. هذه هى الحياة الأبدية التى تدوم للإنسان بدوام الشركة مع الله ، ويتقدس فيها الجسد .

تحتاج الحياة الطبيعية فى الإنسان لكى تستمر إلى طاقة، وهذا الإحتياج يدفع إلى تحقيقه إنفعالات نفسية يعبر عنها الجسد بأحاسيس معينة وهى ما نسميه بالغرائز . وكثيراً ما يستخدم الشيطان العالم فى إستمالة هذه الغرائز لتنحاز لمقاصده الأثيمة فيخرج بها عن دائرة عملها الطبيعية ، الأمر الذى يجمح بإرادة الإنسان عن مقاصد الله فيسقط فى الخطية

أو قل ينفصل عن الله ، أو يموت روحياً ويخضع للحياة الطبيعية (تراب وإلى التراب يعود) . لأنه سوف يفقد نعمة الحياة الأبدية ، هكذا يموت الإنسان بخطيته.

إنه يموت وهو فى حالة فقدان للشركةمع الله ، إذ لايمتلك الإنسان فى ذاته أو فى قواه الطبيعية ما يمكن أن يُعيد إليه هذه النعمة ..

إذاً كيف صار لنا فى المسيح الفداء بدمه ؟

٢- لنا الفداء بدمه

يحمل الرب يسوع فى ذاته القيامة كقوة ترفعه فوق الموت، فهو لا يموت .. فعندما لبس جسد بشريتنا وهو القيامة والحياة ، أدان الخطية فى الجسد وبالتالى أَطلق سراح الإرادة الإنسانية من أسر الإحتياجات الجسدية . وعندما دخل (وهو القيامة والحياة) بجسد بشريتنا إلى الموت (بسفك دمه) ، حرر طبيعتنا من كل ما يدفع بها للأسر . والموت الذى تدفع إليه الإحتياجات الطبيعية عندما يستثمرها لخدمة مقاصده الشريرة .

نحن هنا نعيش فى الجسد ، بمعنى أننا نعيش تحت وطأه الإحتياجات الطبيعية ، أو كما يقول الرسول بولس (تحت الألام).

ونحن إذا اتحدنا مع المسيح (بالمعمودية) فى شبة موته، نتحد أيضا بقيامته ، أو كما يقول الرسول بولس بتعبير آخر (لبسنا المسيح)، بمعنى أخذنا حق الشركة فى موته وفى قوة قيامته ..

تلبية الإحتياجات الطبيعية ليس فيه خطأ ما ، وإنما الجموح بها عن عملها الطبيعى هو الخطية التى تؤدى بنا إلى فقدان نعمة الحياة الأبدية ، أو الشركة مع الله ..

إذاً قبولنا لموت الرب يسوع وقيامته ونحن فى الجسد ، يعنى تجديد الذهن أو غسله مما يتسخ به من مشورات شريرة ، فيصير ذهناً روحياً يُدرك قصد المسيح له المجد فى قوله " **ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله** " (مت ٤ : ٤) .. وهكذا لا تجمح بنا الاحتياجات الطبيعية إلى ما يُريده لنا الشيطان من موت فهلاك .. وهذا أيضاً هو الغفران الذى نستحقه فى دم المسيح، أى إدانه الخطية فينا والحكم عليها بالموت فتفقد قوتها فينا ويصير الذهن روحياً فلا تجد لها فينا شيئاً ..

هذه هى الحياة الأبدية ، نبدأ بها هنا ونحن فى الجسد كعربون وتكمل لنا فى الأبدية . والذى أخذ نعمة الحياة الأبدية هذه يحتاج إلى غسل دائم للذهن بالتوبة وثبات فى الرب بالتناول من جسده ودمه .. هذان هما اللذان يحرران إرادة

الإنسان مما قد يُوقعها فى الأسر للإحتياجات الجسدية ، التى تدفع بها إلى الإنحياز لإرادة الشيطان فتسقط فى الخطية ..

وهذا ما أوجزه الرسول فى قول بليغ وعميق " **حاملين في الجسد كل حين إماته الرب يسوع لكى تظهر حياة يسوع أيضاً فى جسدنا** " (٢كو ٤ : ١٠) لانه سر أن يحل فيه كل الملء " **وأن يصالح به الكل لنفسه عاملا الصلح بدم صليبه بواسطته ، سواء كان ما علي الأرض أم في السموات ..** " (كو ١ : ٢٠).

المصالحة هنا لا يُقصد منها، أنه حدثت مخاصمة بين الله والناس ، والسيد المسيح له المجد هو الذى قام بالوساطة وعمل الترضية بينهما ، وانما يقصد منها كما فى أصلها اليونانى ، الغاء للإزوداجية التى أنشأتها الخطية فى الإنسان ، لتعود إليه وحدته ويقتنى سلامه . هذان هما من أهم سمات الصورة التى جُبل عليها الإنسان .

سألنى خادم كيف نشرح الفداء لمن هم فى المرحلة الإعدادية .

فأجبت عليه (يقول أبونا) بهذه القصة :

زرت أحد الأحباء مرقس ، فإلتقيت بإبن أخته هانى وهو طفل صغير روحه خفيفة وودود جداً ، ويتميز بأنه ذكى ولماح ..

كان هانى يبكى متألماً وهو يردد قطتى نوسة ماتت .. مش ها أشوفها تانى أخذته إلى حضنى ، وإجتهدت فى مداعبته

وملاطفته إلى أن هدأ ، وجفت دموعه . ثم سألته متى ماتت ؟ أجابنى . منذ دقائق ...

سألته : وكيف ؟

أجابنى : دخلت إلى الحديقة الملحقة بالمنزل ومعى صحفة بها قليل من اللبن وبعض فتات من الخبز ، وضعتها على مقربة من نوسة وجلست على مقربة منها أراقبها ، وبمجرد أن فرغت من رضـــاعة أولادها الصغار جاءت تشرب اللبن وعينيها عليهم .. وفجأة رأيتها تزأر وتصرخ بشدة ثم إنقضت مسرعة إلى حيث بدأت تصارع ثعبانا بالقرب من أولادها الصغار ، وظلت تصارعه حتى قتلته وبدأت تتلوى وتصرخ حتى ماتت بجوار أولادها .. يبدو أن الثعبان نجح وعضها قبل أن يموت.. وإذ بدأ يبكى مرة أخرى .. ضممته إلى صدرى وأنا أقول له ..

هانى حبيبى ، أنا مبسوط من نوسه وفرحان بالعمل العظيم الذى عملته .. هل تعرف لماذا ؟

فصمت (هانى) قليلاً ثم قال .. طبعاً عارف .. وعلشان كده أنا بأبكى.. نوسه قطة فدائية وبتحب أولادها ، ماتت علشان تحميهم من الثعبان ..

دخل مرقس ليقدم لنا الشاى ، وإذ جلس هانى على الكرسى المجاور لى ، كان فى مقابله صورة جميلة للرب يسوع وهو مصلوب.. فأمعن النظر فيها وثبته عليها لدرجة يُخال بها

لمن ينظر إلى وجهه ، أنه فقد الحس تماماً بكل شئ ما عدا هذه الصورة ..

وبعد بضعة دقائق فاجأنى بهذا السؤال ..

هل حقاً صلب المسيح هكذا ؟

وعندما أجبته بالإيجاب ..

قال : « ألم يكن معه طبنجة يدافع بها عن نفسه ؟! كيف يُقتَل المسيح هكذا ؟! » . قلت له « هانى ما الذى أعجبك فى موت القطة ؟ »

أجاب : « المحبة »

سألته : « هل تحفظ هذه الآية : « الله محبة » ؟ » .

أجاب : « نعم أحفظها جيداً ، ولكن ما هى علاقة هذه الآية بموت القطة ؟ » .

قلت : « بالضبط ما عملته نوسه ، شبيه لما عمله الرب يسوع على الصليب ! » .

إنه مات على الصليب ، ليفدى أولاده من الموت ، أتستكثر على المسيح المحبة التى أعجبتك فى قطة صغيرة ؟!

قال : « أنا أعرف أن المسيح هو الله وتعلمت فى مدارس الأحد أن أصلى له قبل النوم ، وبعدما أستيقظ من النوم ، وقبل الأكل وبعده ، وفى أى موقف مخيف علشان يأخذنى فى حضنه فلا أخاف شيئاً .. وتعلمت أنه لايموت ، ويُقيم الموتى .. أنا دائماً بأذكر ، كيف أقام ألعازر بعدما أنتن فى القبر ... » .

قلت : « أنا مبسوط لأنك حافظ كل هذه المعلومات ... » . حقاً ، الله لا يموت . لهذا أخذ الرب يسوع جسداً بشرياً قابلاً للموت ، ودخل به للموت الذى نعانى منه فأمات الموت ، أى أبطل فعله فينا وحررنا من سلطانه .. هو أقوى من الموت .. هل تذكر يا هانى وقت الصلب ، أن القبور تشققت وقام كثير من أجساد القديسين .. هو القيامة التى تغلب الموت .. ولقد إحتفلنا بعيد القيامة منذ عدة أيام .. قاطعنى قائلاً :

« أنا باحب عيد القيامة ولا أنسى تمثيلية القيامة ، عندما يفتح باب الهيكل ونمسك الشموع ونطوف الكنيسة فرحانين .. » .

– فاكر يا هانى الترنيمة الحلوة التى نقول فيها :

« بالموت داس الموت ... والذين فى القبور أنعم لهم بالحياة الأبدية ... »

– «طبعاً أنا مش بس فاكر هذه الترنيمة،أنا حفظتها فى مدارس الأحد .. » .

– « إنت ولد ممتاز يا هانى .. تعالى نفكر معاً ، ما هو الفرق بين موت المسيح وموت القطة .. » .

+ المسيح مات بإرادته ، أما القطة فماتت من غير إرادتها ..

+ المسيح مات وقام ، أما القطة فماتت ولا يمكن أن تقوم مرة أخرى ..

+ المسيح مات فأبطل سلطان الموت فينا ، أما القطة وإن كانت حفظت أولادها من الموت إلا أنهم سيموتون ..

+ المسيح قام ، وأعطانا القيامة التى نغلب بها الموت ، وسوف نقوم معه فى مجده ..

قال هانى : « أنا فهمت يا أبى ، المسيح من محبته لنا قصد الموت لكى يهزمه ويعطينا الحياة ... » .

+ « أنا سعيد يا هانى ، إنت ولد ذكى وبتفهم بسرعة ... » .

هنا وتساءلت .. (يقول الأب الكاهن)

ما الذى دفع هانى إلى رفض الصليب ؟

ثم إستعرضت ذهنياً المؤثرات التى يتعرض لها هانى ...

+ بالطبع أقوى مؤثر على هانى فى سنه هذا هو المحيط الأسرى الذى يعيش فيه . فإن كانت مدارس الأحد والكنيسة تبرز له قوة الرب يسوع فى موته ، إلا أن تغرب الأسرة عن الصليب جعل تعليم مدارس الأحد والكنيسة تعليماً نظرياً فقط .

+ والمؤثر الثانى القوى على هانى هو تأثير وسائل الإعلام ، وبالأخص التليفزيون ، إذ يرى فى الأفلام والمسلسلات ، البطولة من وجهة نظر العالم الذى لا يعرف الله ، ومن ثم ليس له خبرة فى المحبة .. ولأن هانى كطفل كان

يمجد الرب يسوع ويعظمه ، فلم يقبل أن يكون المسيح أقل من أى بطل رآه فى الأفلام .. العالم الذى لا يعيش المحبة ولا يفهم أن البطولة هى فى البذل والعطاء ..

+ منذ هذا الحادث العجيب أصبح الصليب شغلى الشاغل ، أتدرب على كيفية إماتة أهواء الجسد والتحرر من الأوجاع الكثيرة بقوة الصليب ، وأساعد كل من يسمح لى الرب بخدمته ، لكى يعيش قوة الصليب ..

+ فالمسيحية من غير الصليب ، تفقد جوهرها ، وتُفرغ من معناها ، ولا يتحقق الهدف منها . ويستحيل على أى مسيحى لا يعيش الصليب أن يذوق شيئاً من أمجاد الرب يسوع . والأمر المهم الذى حركنى للكتابة فى موضوع الفداء هو أننى رأيت كل ما فى العالم ، يركز هجومه بالأكثر على عقيدة الفداء فى المسيحية ، حتى أن الهجوم على العقائد المسيحية الأخرى إنما يستهدف بالأكثر عقيدة الفداء ، وهذا يرجع إلى أمرين هامين جداً وهما :

١- أن المسيح كسر شوكة الموت ، وأبطل سلطانه على بنى البشر ، فلا شئ يُثير سخط الشيطان قدر ما يثيره الصليب ..

٢- أن الفداء هو الأساس الذى تقوم عليه المسيحية .. فيستحيل أن يقبل أحد الفداء من غير أن يقبل لاهوت السيد المسيح وعقيدة التثليث والتوحيد والتجسد ..

فالصليب فخرنا وقوة الله لخلاصنا .. والفداء أساس علاقتنا بالرب وطريقنا للأمجاد للأبدية ..

لهذا أريد أن يسعد القارئ بما سعدت به فى هذا الكتاب ، ويشاركنى الإيمان العامل فينا بالفداء ، الذى به نمات النهار كله وحياتنا مستترة فى الحى إلى أبد الآبدين ..

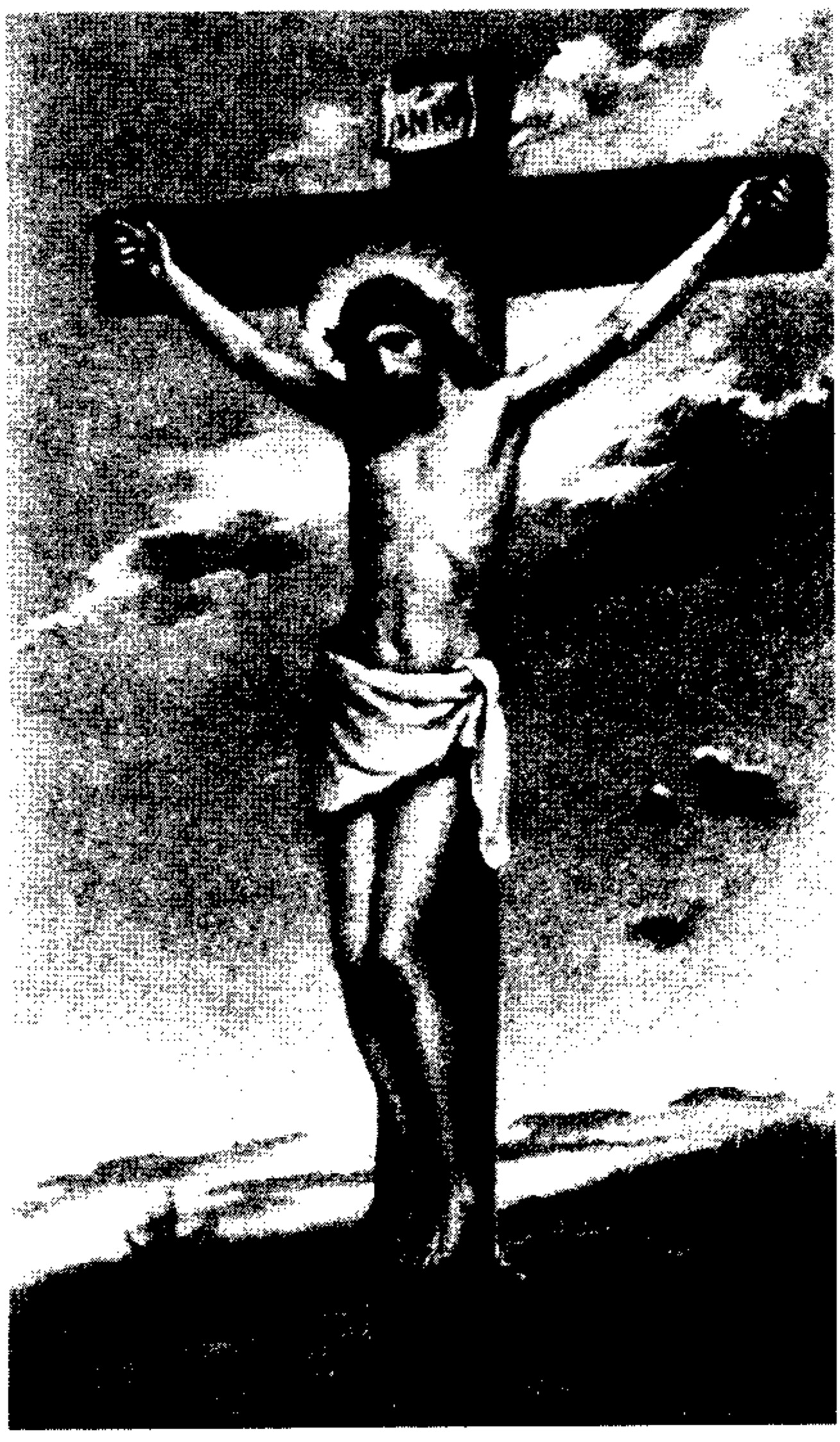

إهداء للشباب أبناء الكنيسة

أحبائى فى الرب ، أهديكم هذا الكتاب وأود أن أقول لكم :

* نظراً لأهمية موضوع هذا الكتاب (الفداء) ولكثرة الهجوم الموجه ضده ، آثرت أن أقدمه لكم فى أسلوب قصصى يبلغ بكم الفائدة المرجوة منه ..

* لا تظنوا يا أحبائى أن المثالية التى تلمسونها بوضوح في حياة الذين أكتب قصص حياتهم هى ضرب من الخيال .. إننى أستوحى هذه القصص من فكر الكتاب المقدس وحياة القديسين الذين عاشوا الفداء .

* فإن كانت المثالية التى أقدمها لكم فى هذه القصص غريبة على مسامع أهل العالم وبعيدة عن واقع ما يعيشونه ، فهى ليست هكذا بالنسبة لكم . " لأن هذه هى إرادة الله قداستكم " (١تس ٤ : ٣) وقد أوصاكم رب المجد قائلاً : " فكونوا أنتم أيضاً كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل " (مت ٥ : ٤٨) ، ويقول معلمنا بطرس الرسول : " نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين فى كل سيرة " (١بط ١ : ١٥) . فأنتم شركاء فى طبيعته الإلهية (٢بط ١ : ٤) ولهذا قال لكم الرب يسوع "أنتم ملح الأرض " (مت ٥ : ١٣) ، " أنتم نور العالم " (مت ٥ : ١٤) وقال الرسول بولس : " إذاً نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا " (٢كو ٥ : ٢٠) .

* عزيزى هل توجد مثالية أكثر من أن تكون سفيراً للمسيح والله يعظ بك الآخرين ؟! .

* المثالية هى ما يجب أن نكون عليه بالفداء .. ثق يا عزيزى أن "غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله " (لو ١٨ : ٢٧) . فليكن لك رجاء الذى يقول " أستطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى " (فى ٤ : ١٣) .

أرجو لكم التوفيق

المؤلف

الفهـــرس

مقدمـــة ٩

الفصـل الأول :

مـــوت الأبـــرار ١٣

الفصـل الثانـى :

عظمـــة الخدمـــة ٣٥

الفصـل الثالث :

حوار حول الفداء ٨٥

الجمع والإخراج الفنى
إم . سى للتجهيزات الفنية
ت : ٢٤٣٨٢٢٥